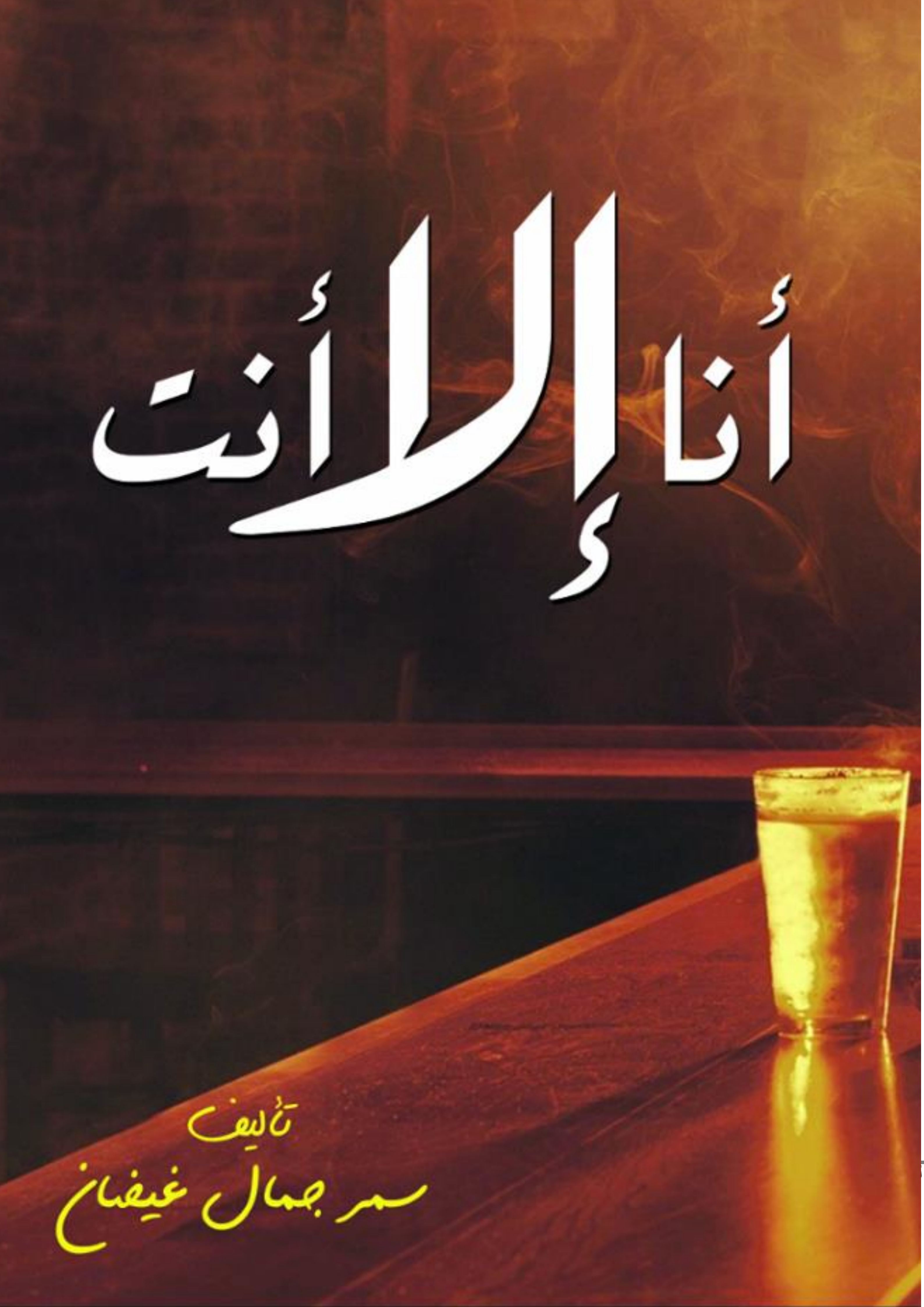

أنا إلا أنت
تأليف
سمر جمال غيضان

أنا إلا أنت

مجموعة قصصية

سمر جمال غيضان

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

http://book-juice.com

مجموعة قصصية

أنا إلا أنت

المؤلفة : سمر جمال غيضان

نشر في : أغسطس 2017

تصميم غلاف: فادي أوسكار

تقييم وتصحيح:يارا رمضان$ أحمد العزام

تنسيق داخلى : عصير الكتب للنشر الالكتروني



إهداء

إلى كل عابر سبيل، يبحث عن روحه التائهة فى متاهة الحياة .

ل

علي

و أنّي أحبك حد التعب

يجلس في اللا مكان، و هو ضام ركبتيه إلى قلبه، و كأنه يثبته خوفاً منه. الهرب يا صديقى من شيم قلوبنا، و أرواحنا لا تحتمل كل هذا التعب، ينظر إلى أعلى، و ينتظر لسانه حتى ينطلق :

"و كأن الله خلقنا من أجل هذا المشهد، السماء و البحر معاً كأنهما أنا و أنت".

تبتسم بثينة و كأن شفتيها مجروحتان، لا هي كاملة ولا تركتهما على حالهما، تضمهما سريعاً لوضعهما وتنظر لعلي بطرف عينها دون أمل، كأنه غروب الحياة ، ما كتب لها القدر حياة بعده .

" يعجبنى تفاؤلك أيها الحبيب، و كأنك طفل في المهد، عندما يتعلق الأمر بالحياة لا تراها سوى مائلة ستُعدل، ولا أراها سوى زانية عادلة" تنهدت بثينة و هي تثرثر بروحها شكوى الزمن الزاني .

تستعجب الصمت في حضرته، فتلتفت إليه وتقول :"أراك تحبّني بلا حد، كأني السماء بحُبِّك، لا ترفعْني لتلك الدرجة، ستزيد الأمر سوءًا".

سكت عن الكلام ينظر لعينيها، كأنه يريد تكملةً أو سبباً لتلك العبارات .

لم يجد بعينيها ما يرجو من إجاباتٍ لجُملٍ تكسر الروحِ و تحني الظهر، ولا في نفسه إجاباتٍ تخرسها عن نذير الشؤم .

يقتبس رداً من أقرب فيلم، هذا هو الحل، الكل يصبحون أشباهاً و مقلدين، حتى في الحب كلٌّ أصبح متشابهاً .

" أحبك دون سببٍ و لكل الأسباب، كل شيءٍ فيكِ يستحق الحب، أنتِ من خُلق الحب من أجلها يا أنا "

عقلها يحدثّها بأن رده يذكرها بالعاشقين في حبيبي دائماً، لست هي هي ولكنك هو عينه فى عينها .

تلك العينين التى تريك الحب كما تشتهي، غداً ستجعلك باكياً على ما حل بك، جعلها القدر سبباً، اللهم يا رب خفف عنه زنزانة قلبه العاجي .

قلبها على كثرة قسوته يحمل مضغة من الحنان ربما خلقت له، أو لعلها كانت كتلة من الحنان شوهها الزمن .

الزمن والعادات والتقاليد و نظراتهم تجعلك مسخًا حتى في نظر نفسك، إن لم تكن تصدقني فأنظر لحال نفسك يا فتى.

تحس بقلبها ينتفض، غداً ستظلمه، ربما سيبكي ليله و ينام نهاره، ربما ستدخل النار جراء قلبه المكسور، فإذا دخلت إمرأة النار جراء قطة، فما بالك بقلب منكسر .

بينما هو جلس بقربها يفكر في فرحه، غداً أو أقرب، سيخطب ابنة عمه، المال يحب المال كما أخبره أبوه، الحب سيفنى و يبقى المال، الليل سيصبح أطول، الأمس كانت البداية لخطبته و الغد الفرح .

نظر لها ووضع يداه على قلبه، لن أتركك أبداً، مهما جر علينا الزمن .

تلقت عيناها الكلمة و صمتت، عيناها .. آهٍ من عينيها، كأنهما أصبحتا تحملان نصف شجن العالم منذ آدم، و النصف الباقي تحمله دموعها.

"هيا نرحل ونترك المكان، الزمن لم يعد يحتمل وجودنا معًا"

قامت يدها بيده، تعلم بأن تلك آخر فرصة لجلدها تشرب منه حنان يده و دفئها، الغد سيأتي بآخر ليكون زوجها، لا تلوم أحداً، هي فقط تلوم الجميع و المجتمع، أصبحت تلك الذكرى عقدتها في الحياة، بينما عقيدته هو كانت مصلحتك أولاً .

(الإنسان بندقية محشوة، زناده الوحيد هو ضميره)

ع

عبد المعطي

تجلس الجدة و هي رافعة حاجبها الأيمن، تسند ظهرها على المصطبة الطينية أمام الدار، لتحكي عن الأيام الخوالي، تتنهد وتقول بصوتها الشبيه بصوت نقار الخشب:

" الغريب البخيل يُعطي، و لكن عبد المعطي لا يُعطي "

تلك الجملة التى اشتهر بها زوجها عبد المعطي في البلدة، و كيف كانت الدنيا ببيت أبيها قبل أن تتزوج عبد المعطي .

جاءت هند الصغرى بالشاي في إبريقٍ أبيض قشري، منحوتٍ من أسفل بفعل الزمن، صهدت النار لونه بِروحٍ بنيّةٍ محترقة، كقلب الجدة التي عاشت الدهر كله، تنعى يوم تزوجت ذلك البخيل .

أخذت أرواح الموجودين تحت جناحها، بصوتها و طارت، هنا على حدود عمر العشرين، عندها تعرفت على قدرها، ولا أحد يعرف قدره إلا عندما يلدغه .

جاءت وهى تحمل حملها، لتطرحه تحت شجرة الجميز، ترتاح من طول مشوارها، يباغتها الظهر ينشر حرارته على جسدها، فاختبأت منه تحت الشجيرة مع حملها، تنظر للجميز كأنه

الخمر في الفردوس، تمد يدها و تأخذ خمس حبات وتمسحهم بطرف جلبابها، و تأخذهم لمسار الأكل، مجراه إلى الفم الشهي كحبات النبق، لتتبعهم مرة أخرى بخمس أخريات وهكذا دواليك، كادت تقضى على الشجيرة من جوعها .

من وراءها كان عبد المعطي يشاهدها، و هي تبلع الجميز ماءًا من جوعها، لفّ حولها كالرياح ، وقف أمامها كالصياد يتفرس في ملامحها، و هي لا تعي ما به .

أمسك بطرف الحديث قبلها وقال لها:"أنتِ سرقتِ جميزي اللذيذ أيتها اللصة "

أخذها من يدها وسحبها إلى حدود البيوت، يجعر بصوته اللئيم "سرقتني، أكلتِ جميزي اللذيذ "

يركض بها في أنحاء البلدة وهو ينعق :"لصة من دون الناس، استحلّت مالي، قطفت ثمر الجميز من شجرتي، أتت على الجميز، و ما تركت لي واحدة، أخذت مالي في بطنها تلك السارقة "

يسحبها وراءه كجاموسة من زريبة، بينما ليس هو صاحبها، فلِمَ يجرها ؟!

يزمجر على رأى نفسه، سيأخذ حقه مالاً من أبيها، فليذهب إلى بيت شيخ البلد، ليتعرف عليها ويطلب أبيها، و يأخذ حقه و يرتاح قلبه .

وصلوا إلى بيت شيخ البلد، وهو لا يزال يجعر "سرقتني يا شيخ البلد، أريد حقي . "

نظر الشيخ إلى البنت القابعة بين قبضتي يديه، إنها هي ابنته هند، ست دارها و أثمن بنات قريتها.

طار الشيخ من مجلسه كسهمٍ منطلقٍ ليمسك بابنته، و يلفها تحت عباءته من سهام العيون .

بادر الشيخ بالكلام مردداً على آذان البلدة :

" ثمّن أرضك كلها وأعطيك ثمنها حالاً، ولا تأتِ على ابنتي بحرفٍ هوان ".

عبد المعطى الأبرص، هذا الأصفر الوجه غليظ القلب ذكيٌ للغاية، يا ويلك إن رأيت منه مكراً، لن يترك فرصة كتلك تمر كمرور آدم بالجنة .

أنا لا أطلب المال ولكني أطلبها هي عدلاً، أوصتنى أمي أن أول من تأكل من شجرتى عندما تطرح فعليّ أن أتزوجها، وهى أكلت دون إرداتي وسلبتني حق الاختيار .

أخذ يبكي كما يبكي الرجال على أمهاتهم في اللحد، وجلس القرفصاء ينعى حظه الأسود على ما أصابه منها، يشكو الحظ الذى سيجبره الزواج دون اختيار .

ممثل بارِع أخذ ما أراد دون تعب ، حتى الجمهور صدق روايته و صفق له .

يوم و ليلة فقط حتى تم الزواج و دخل بها، بعد عام من الزواج، أتت له بولد و سماه جميز، ضحك عبد المعطي من القدر و همس في أذنه بعد الولادة :

"جميز، ليت جدتك كانت هنا لتحملك، رحمها الله كانت أميرة" فسكت، ثم قال

"ماتت و هي تلدني و لم أرها قط. رحمها الله، كم كنت أتمنى رؤيتها . "

(المِحْنَة تنحت ملامحنا، والغربة في وطنك أكبر مِحْنَة)

ل

الشيخ الحسيني

يمشي هادئا بخُطىً متلاحقةٍ واسعةٍ، كأنه يعدو فوق بحرمن الجمر، يساعده في ذلك طول قامته وخفة حركته ، يبدو كأبيه رحمه الله، مات بمرض التيفود منذ عقدٍ مضى، مضى خطواتٍ تليها خطواتٍ ثم انحنى ليلتقط حذاءَه، و تركه على مدخل المسجد.

مسجد القرية كبيرٌ في مساحته، حوالي فدان من الأرض، يقع على الجهة البحرية من الطريق، جدرانه الطينية الطويلة تنتهي بسقفٍ معرَّشٍ بالقش، وعصيّ الذرة الثقيلة تجعل الشمس لا تصل لأرضيته الطينية المغطاة بالحُصُر الصفراء الغليظة

الحسينات قرية حامية، و لكن جو الروحانيات في المسجد يجعلها رطبة، المسجد أثره جميلٌ يحثُّك على العبادة، الريف مازال يحتفظ بكثير من فطرته، والكل منصاع لكلمة الكبار، الحياة الريفية تعطيك حياةً فوق الحياة و لكن لا معنى ولا هدف لها فى الغالب.

الأستاذ يوسف مدرس اللغة العربية يحكي أن المركز في المدينة جهنم من شدة الازدحام، هذا الأستاذ صاحب الأربعين أضاع نصف عمره في اللغة، زوجته تكره اللغة كأنها ترى فيها هند رستم تنافسها على زوجها .

جاء وليّ الطفل الصغير هو الآخر ليجلس، يعلمه الأستاذ يوسف القراءة والكتابة حسب رغبة أبيه، فهو يريده شخصًا ذا قيمةٍ كأخيه الطبيب منتصر، ذلك العبقري الذى جعل كل الحسينات تفتخر به، الكل يريد أن يثبت نسبه له و لو بالمصاهرة، المهم أن تنال من المفاخرة شيئاً .

منتصر على الرغم من تطبعه بطباع أولاد المدينة إلا أنه وفيٌّ لقريته، يأتي إلى القرية ثلاثة أيامٍ، يشفي العليل ويطيّب الجريح، حتى البهائم نالت نصيبها من طيب يديه، لا مكان في القرية

للعلاج، منزل أبيه كان المشفى بالنسبة له، تلك الغرفة التي كان يذاكر فيها هي نفسها عيادته .

آخر مرة نزل بها منتصر القرية طبّب جسد الشيخ الحسيني كبير القرية، أصابته حمى مالطية نتيجة اختلاطه بالبهائم في البيت، فطلب منتصرفصلَ البهائمِ عن البشر، و أعطاه دواءه و انسحب إلى المركز مرة أخرى .

الشيخ الحسيني دعا لمنتصر في خطبة صلاة الجمعة و حسده الكثيرون، و لكنهم أمّنوا على الدعاء بقلبٍ سليم .

جاء مكتوبٌ للعمدة عبد الظاهر بمعونة الشتاء، تلك المرة جاءت كبيرةً على غير المتوقع، الملابس كثيرةٌ تكفي هذا الشتاء و الذى يليه حتى و لو كُسيَت البهائم.

اجتمع كبار البلد و هم خمسةٌ لا سادس لهم: العمدة، شيخ البلد، الشيخ الحسيني، الأستاذ يوسف، الدكتور منتصر .

قرروا أنه إذا فاضت الملابس، ستنال القُرى المجاورة منها بعضَ السخاء، و الأموال ستُقَسَم على مستحقي الزكاة بنسبٍ عادلةٍ، وانتهى الاجتماع بعشاءٍ يليق بهم في دار العمدة، و ذهب كلٌّ منهم إلى حاله، راجين أن يكونوا قد وفِقوا للصواب.

يبدو أن العمدة ليس متمرسًا في العمودية، على الرغم من سنواته العديدة بها فهو لم يفهم المكتوب، فلم يبعث بردٍ عليه بمكتوبٍ آخر حتى نزل إليه رجل الحكومة في الدائرة صاحب المقعد في المجلس. جاءه بنبأٍ أن تلك الأموال الفائضة جاءت لكي تحقق القرية إنجازًا ما يُحسب له في البرلمان، المهم أن تنهض القرية وتعلو عمّن حولها، و ليست الأموال للزكاة. خرج ينعق فى من حوله، و خرجت معه أحلام اليتامى في مال يسترهم باقي العام .

اجتمعوا مرّةً أخرى حول نفس الوليمة، و تناقش الجميع فيما يجب فعله، عند تلك اللحظة هبطت أحلام الماضى الشخصية مدويةً، فانفرد منتصر بالحديث عن مشفىً في البلد، يشفي العليل، و يطبب المريض، و يحمي الأطفال من الملاريا والشلل في موسميهما المُعتادَين .

انتفض الشيخ الحسيني بإن بيتِ الله أولى مِنْ أيّ شيءٍ، قائلاً:"فمن يعمر مساجد الله إن لم نكن نحن، و إن لم تكن تلك غايتنا الأَسمى ؟ "

و أكمل حديثه الدينى، المسجد ثم المسجد ثم المسجد، بيتُ اللهِ يا رجالَ الله .

أما الأستاذ يوسف فهو سارحٌ بخيالِه في المدرسة التي ستبنيها تلك الأموال، كيف سيعلّم الأولاد ليصبحوا ذوي شأنٍ عظيم، فأفصح عما بخاطره، و رمى كلمته وسط الكلام، وانتهى المجلس و كلٌ يغني على لَيْلاه .

غداً يومٌ فاصلٌ، عبد الظاهر لا يملك القرار، لا أحد يملك القرار، الشعب يحكم دائماً.

ذهب الشيخ الحسيني و اعتلى المنبر، و خطب في الناس و تحدث عن أهمية المسجد في القرية وكيف أن المسجد يجب أن يكون ذا قيمةٍ أغلى، بل أن يكون أغلى ما في القرية، جموع المصلين انتفضوا لكلامه، مسجدنا هو وجهتنا و مدخلنا للجنة .

مرَّ حنا النجار من أمام المسجد المُعرَّش، وسمع ما سمع، فقال: "و لِمَ لا نبني كنيسةً بجوار المسجد نتعبد بها؟".

لم يرد عليه أحد، حتى الأقليات تطلب أن تتعبد، قُلبت كفة الميزان، هذا ما قالته عينا الشيخ الحسيني له بصوت هامس .

جاء منتصر و الأستاذ يوسف ليُحدثا الناس، و لكنهما تأخرا، كعادةِ كُلِ المتنورين، فعرف الناس بوجودهما و تجمهروا حولهما .

واقفٌ منتصر و يوسف، أحدهما يتجرع الكلام من غباء الشيخ الحسيني و ندمه أنه عالجه ذاتَ يوم، كم طفلا سيحيي و كم بيتا سيحمى من اليتم بسبب هذا المشفى، الله يحب الإنسان و كرمه، فلنكرمه نحن أيضاً و نحافظ عليه من المرض.

والآخر يقف في ظهره يخاطب في الجزء المتبقي، لولا العلم لِمَا كان منتصر طبيبٌ يدواي المرضى، ولا الحسيني يفقهُ الدينَ و يعلمه، هذا الذي ينصح بالمسجد، أولُ كلمةٍ في دينِه هي اقرأ .

الحسيني يتسلل بجانب يوسف يشير بيده إلى المسجد، ربما يتاح لك ملحق بالمسجد لتُدرِّسَ به بدلًا من المستوصف الذي يريده منتصر وعَرَضَه عليّ ليلة أمس.

لا مفر يا يوسف ضاعت المدرسة و الأخلاق، لا منافسة شريفة حتى بين المتنورين.

استمر منتصر في خطابه وحوله الحشد و يداه تعبِّرعن حال لسانه، ويوسف لا يملك إلا نظرة العينين الحائرتين على الحلم المغدور به.

الحسيني لا يخطب، فقد خطب أولًا، دائمًا سابق بخطوة، يذكرني بدهاءِ القطط و لؤمِها، جاء بجوار هادي وهمس بأن اللهَ يُحب الذي ينصره، أنا قلت ما يجب عمله، و لكن هؤلاء العلمانيين يريدون الدنيا، الآخرةُ أحقُّ و أبقى ياعبد الله، فهلُّمَ إلى نصرِ الله، ولكن مَن يسمع وينصر الله .

الكلماتُ أشَّدُ خطرًا على العقل من المذهبات، وخاصةً إذا كانت من رجل ذي شخصية، مهما كانت الكلمات، هتف هادي:

"المالُ مالُ الله، ليُبنَى بيتُ الله "

أيها المسلمون، كونوا كالصحابة و دافعوا عن دينكم أو تخلوا عن دينكم، فاللهُ حافظٌ له من دونِكم.

نظر الشيخ الحسيني للحشد، و خص هادي بالكلام، لا تتعب نفسك بالكلام يا بُنَيّ، يبدو أن القرية أصبحت تريدها علمانية.

علمانية !!!

أستَقلعُ النساءُ الحجابَ، و يُمارَسُ الجنس في العلن، تلك الأفكار التي طارت فوق رؤوسهم ولا غيرها.

يبدو أننا لا نفكر بشيءٍ سوى الجنسِ و النساءِ، لأننا نربطُ كلَ الأشياءِ بهما، حتى السياسية والأيدلوجيات.

فارت دماء الحشد و رفع المتجمهرون هادي على الأعناق، و داروا به حول القرية، يتبعهم الوليّ ابن هادي الصغير و الوحيد، يهلهلُ بما يسمع، و يضحك لما لا يفهمه .

انتهت المسيرة الحاشدة إلى الوقوف أمام الخاطبين، تلك النظرة المرسومة على وجههما ستلزمهما ما بقي من الدهر، خافا و انسحبا إلى المدينة، لم يَعُدْ لهما مكانٌ هنا، فلو رأيت نظرة أهلِ القريةِ لهما، لاعتبرَتَهما فاسقيْن خارجيْن على كل الأديان والمِلَل.

عبد الظاهر ينفّذ كلمة الشعب، فالشعب يحكم .

مر العام وهو العام .

المسجد عظيمٌ حقّاً ، مبنيٌّ على عمدان من أسمنت، مرتفعٌ لستِّ طوابق، مدهونٌ كلّه بألوانٍ هادئةٍ، و تلك اللوحات المعلقة و النجف يدلُّ على قصرٍ وليس على مسجدٍ لله، الزخارف ملونةٌ و متناسقةٌ تأخذ عينيك و لا تُرجعها لك سوى نافورة الماءِ عند المدخل .

خرجت تلك الجموعِ لا ينقصها أحدٌ عن العام الماضي، كلٌ في مكانه لم يتغير كعقولِهم، حتى هادي مكانُه فوق الأعناقِ محفوظٌ، لكنه لا يملك حنجرة للهتاف، فهو ممددٌ على خشبة الأموات، أول من يُصلَى عليه بالمسجدِ الجديد هو، بعدما افترسه التيفود و قضى عليه، مسكينٌ لم يجد مشفىً يعالجه ولا طبيبٌ يداوي مرضه .

وقف الوليّ يرفع رأسه بأن أبيه كان سبب بناء المسجد، وهو يأخد العزاء ممسكاً بشهادة الوفاة لا يفقه فيها شيئًا، فهو لم يتعلم القراءةَ ولا الكتابة، فلا مكان للعلم هنا، لخلوِّ القرية من مدرسة .

أخد شهادة الوفاة وثناها وأسقطها في جيب جلابيته ، و سار خارجًا من المسجد إلى داره، يستقبلُ الحزنَ كضيفٍ في البيت، و يتذكر كيف عاشَ أبوه و جده و كيف ماتا، و كيف ستكون عيشته و ميتته غدًا، فيا رب أبعد عنه مصير أبيه و جده و الشيخ الحسيني.

ثم تاه.... ثم جاء .... ثم عاد....ثم بكى حتى أفاق .

هـ

عهدٌ جديد

وظيفة أربعة وعشرون ساعة، بلا مقابل مادى ولا حتى معنوي معظم الوقت، تنحني وتقوم حتى يطقطق ظهرك من الوجع، وظيفة إذا قبلتها لن تستطيع أن تقدم استقالتك، فيروز منهم هي ونساءٌ أخريات يشغلن تلك الوظيفة منذ الأزل.

فيروز مؤمنة ، تعي في صدرها أنك ما دمت تخاف الله وتصدقه، لا تنكث عهدك معه، اليوم الخميس، هذا الخميس مميزٌ لدى مُعتنقي المسيحية، رمزٌ موحّدٌ لعقابِ النكثِ بالعهودِ مع الله، حتى لا تصبحَ مثلَ يهوذا .

و لكن في كل الأديان المرأة التي أصبحت تملك أطفال، لم تعد إمرأة بل أم .

الزمنُ مخيفٌ حقاً يا رفيقي، فمنذ عشرون عام كانت فيروز تعمل بالخليج مع زوجها، لعبةُ الرزقِ مغلقةٌ في بلادنا أكثر من القدر نفسها .

شاءَ اللهُ أن تكسب كثيرًا، و تقرر العودةَ إلى مصر بعد تأمين ضمان حد الرفاهية لها ولأسرتها، مدراس أجنبية ، بذلات أنيقة ، فساتين ليست شرقية ولا حتى غربية .

كلُ الأمورِ تسيرُ حسب الاتفاق الدنيوي بين المادة والسعادة .

لعبة قمار واحدة تخسرك كلَ ما تملك، وأخرى تجعلك من المبختين في الأرض، مغامرةٌ ماليةٌ واحدةٌ مع شركةٍ من شركات الريان و انتهى زمن الرفاهية يا فيروز و نزلت عليكِ نبوءة الكفاح .

أدركتها الخسارة من كل الأرجاء، فالمصائب إن أتت فرادى، استعجلها القدرُ حتى تجتمع .

مرِضَ زوجُها بعد ما أصابهما من كسادٍ، أصبح رجلاً بلا ظهر، الأبناءُ في حالة إنكارٍ ولا يعرفون للمسئولية طريقًا و ذلك ليس خطأهم، فالأمس كانوا أصحاب مشروعات رحلاتٍ و سفر، ليس من الطبيعى أن يصبحوا أصحابَ مهنٍ ومسئوليات.

اجعل من روحك مصباحًا يشع ضياءًا، إنَّ كل تلك الأشياء ستمضي، فالقدر رحيمٌ بنا مهما جرَّ علينا.

هزيل امرأة قَلَّمَا جاءت إلى واقعنا، لكنها جاءت إلى واقعِ فيروز و هي تمشي على أطرافِ الصداقةِ تتدعي التعاطف، قررت أن تجعلها مديونة ملئ الزجاجةِ بخفةٍ متناهيةٍ، و أغلقت الزجاجةَ بفوهة، غداً ستسددى الدين فلا تقلقي، فنحن أصدقاء، أليس كذلك؟؟

و ملكت المفتاحَ و وضَعَتهُ في عقلِها، كما تضع باقي الأشياءِ التي تحب امتلاكها.

هي إمرأةٌ متمردة على ذاتِها و قدرها، سيدةُ أعمالٍ من الدرجة الممتازة، تعرف كيف تصطاد سعادتها، و تغلفها بكلِ هدوء، حتى الهدية لا تشعر بأنها لُفَّت حتى يحتكم الخناقُ عليها .

جاء موعدُ السدادِ على فيروز، كباقي البشر، مهموم ومثقل القلب بلا منفذ للتفريغ ، طلبَ من فيروز الأم بأن تكون لها رفيقة حب، مقابل المادة، تعطيها الجسد مقابل رفاهية أولادها .

الأمُ أمٌ مَهمَا جرى، و لكن الأمَ قدوةُ، كيف تصبح الأمُ آثمةً هكذا؟؟

المرأة الشريفة لا تُرزق من ثديها، ولكنَّ الأمَ الشريفةَ تبكي أمام عجزِها في مواضع عدة، أمام أولادِها و مستقبلهم، أحلامهم أم شرفها!!

ليس سهلًا أن تغيري ذاتَكِ و ميولَكِ في نوعِ الملابس التى ترتدينها، فما بالكِ بالعاطفةِ والجسد، أو تخفي شيئاً هكذا عن نصفِكِ الآخر، أو حتى كيف تخبرينه، تنظرين في عينيهِ و تبوحين له، هو حَبيبُكِ و أنتِ حبيبتُه، خاصةً و أنكِ مطالبةً بأن تعامليها كطفلةٍ في المهد، تدلليها وتطيعي الأوامر، وإلا انقطعت عنكِ المعونة .

دعونا لا نتطرق إلى مشية العجز إلى البابِ كل خميس، ولا نظرة زوجها وهو يعلم وجهتها، ولا عند عودتها، دعوا كلَ شيءٍ للزمن، هو وحده القادر.

أعوامٌ تمرُ كهواءِ شهرِ آذار، لا طعمَ ولا رائحةَ إلا الخَبَث، كلُ خميسٍ هو خميسٌ مقدسٌ لهزيل، ثقيلٌ على فيروز، نظرةٌ من زوجٍ لصورةِ المسيح ينتظر الفرج، يرجوه الشفاءَ من عِلَتِّه، ليشعرَ برجولَتِه ويصونَ عِرضِه، يعرفُ بجرمِ وتضحيةِ زوجتِه، ويشتكي جورَ الزمنِ، و أبناءٌ لا تعرفَ إلا الترفَ، رغدُ الحياةِ مثمّنٌ بجسد.

هذا الخميسُ سيكون مختلفٌ، جاءَ يحملُ خبرًا من الابنةِ الصغرى، بأن أخاها يريدُ الهربَ ليتزوجَ من صديقٍ له، قد سمِعَته بالمُصادفةِ يتحدث في الهاتف، أيُ زواجٍ من هذا النوعِ القبيح لا يتمناه أبوان لوحيدِهما، نحنُ لا نبالي بالخطأِ حتى يُرَدَّ لنا في أعزِ أحلامِنا .

لا أحدَ يبكي أو يشتكي هنا، ليسَ كالأفلامِ والروايات، ماذا اختلف؟

الكلُ جامدٌ، لا أحدَ ينعي أو يشجب حتى كالمؤتمرات. وحيدُهما و زواجُه المِثلّي أصبحَ واقعًا أسريًا.

دارت الدائرةُ يا فيروز، و لكن من بدأها يا تُرى!!

فيروز تضيء شمعةً، و تعاهدُ اللهَ بعهدِ الخميس ألا هزيلَ بعدَ اليوم، فليَرُدَّ لها ابنَها رجُلاً يهوَى النِساء و يُنجبُ أطفالاً .

ماتت كمدًا، و لكن ما انطفأت شمعةُ العهدِ ذاك أبدًا. معجزةُ فيروز هي صدقُها معَ الله، فما معجزتك أنتَ، حتى تضئ شمعتك ؟

قطعَت العهدَ خميسًا، و انتظرت خميسًا وفجرت خميسًا، وماتت خميسًا و كل خميس .

(هم يريدونك أن تتنازل عن ضميرك، الجبان ليرى نفسه شريف،

والشريف ليثبت أفضليته)

س

ســـــرينة

هذا الفتى يذكرني بجارِنا، شيءُ ما منه يشبهه، اللهفة، الروحِ، الخطوة، الأمل، شيءٌ ما مختلفٌ يجمعُهما .....

سرينة، ذلك الوصف منطبقٌ عليه، ذاك الأسمر النحيف، له روحٌ خفيفة، شعرُه المجعد القصيرلا يحمل علامةً مميزة، لكنه يجعله مميز، جسدٌ لين يتحرك كالصاعقة، فتراه كأنه ماسٌ كهربائيٌ متحرك، عيناه شعاعٌ من ضوءٍ يكشفُ الكل، لا يفارق قميص نادي الزمالك جسده، أعتقد بأن ذلك القميص أبقى على جسده من مبادئ بعض مسئولي اللعبة.

رحم الله جارنا، مات وسطَ الشهداءِ في الثورة، حلمتُ به أو مرَّعلى بالي و أنا أراه، و الآن أراه متمثلٌ فيه.

كُنتُ في خضمِ الفرحةِ المطلقة، عندما أحرز الهدف، قدميّ لم تستطعا حملي، فقط الهواءُ استطاع أن يعي وزني، فطرتُ في الهواءِ اصرخُ من الفرحة.

نزلتُ لتقع عيناي عليه، شيءٌ ما فيه يجذِبُني، صوتُه المخترق لطبقاتِ الأرضِ يشكِّلُنا و يشكِّلُ الفرحةَ في المدرج، أسميتَهُ سرينة على الفور .

مباراةٌ كاملةٌ له هو والفرحة، سأتعرفُ عليه، ونصبحَ صدِيقَا مدرج .

انتهت المباراةُ فركضتُ خلفَه، انتظرتُه، ذهبَ، لابأس سأجدُه المرةَ القادمة .

اليومَ سنحتفلُ بأولِ الدوري معًا، سأعرفُ اسمَه .

فيصبح علي سرينة، كم أتمنى أن يكون اسمه علي !

بدأت المباراة و لم أكن حاضرًا، مرضَت أمي و بقيت هناك، لم أعرفْ ماذا أفعل، هُنا الوقتُ لا يمرُ أبدًا.

منزلُنا هنالك بجوار مشرحة زينهم، اعتبرها صرحٌ للمتآكلةِ قلوبُهم بالموت، كم أكرهُ هذا المكان.

جاءت أصواتٌ تتعالى بجوارِنا على غفلةٍ كصوتِ النحور، و صياحُ شبابٍ يسكُن قلوبَنا كالرصاص، هي مجزرةٌ أخرى، لن أخرجَ تلكَ المرة فقد سئمت رائحةَ الموتِ تعلَقُ بي عند كلِ مرة، متى سينتهي هذا الصرير في عقلي!

الموسيقى ، لا شيءَ سِوَاها سيعالجني، رفعتُ صوت المذياع لأخفي نحيبَهم، تلك محطتي المفضلة لتنطلق الكلمات، فتصيبني ....

لا بداية ولا نهاية والوقت مارق غريب

متل مروري بأفكارك لحظة بتلمع و بتغيب

يا عصافير السهل الجاية تبشر بشتي تشرين

وجوه وأسامي ببالي حدا يذكرني لمين

الدنيا حلقة وعم بتدور

ما تلكَ الكلمات و لِمَن كتبَها الشاعر، حتى هبة طوجي، صوتُها أصبحَ يوجِعُني و يحيِّرُني، البدايةُ تبشرني بأنَّ الليلَ سيكونُ طويلًا مريرًا ....

صباحًا عندما هدأت ثورةُ الصياحِ ومرضُ أمي، نزَلتُ للحياة، و أنا ألبسُ قميصَ نادي الزمالك تعويضًا ليومِ أمس.

الجرائد تناديني اليوم.

تُرى هل اسمي مكتوبٌ ضمن حَظِّك اليوم !!!!!

أخذني عم فؤاد لفتحةِ فاهُ بصوتٍ مرفوفٍ بالألم:

"لسه فيك حيل تلبس التيشرت ده، ما خلاص حتى الأبيض اتبهدل يا أستاذ"

الجريدةُ في يديه بها رفيقٌ أعرفه، إنه سرينة،

تِلكَ صورتُه، و قد ماتَ كما أعلنَت الجريدةُ الحكومية و استشهد في الجرائدِ الخاصة .....

كل تلك التفاصيل التي وجدتها مرافقةً لصورته لا تهمني ..... كل ما يهمني الآن لِمَ قُتل؟!

علي سرينة قدْ قُتل، رحِمَكَ اللهُ يا علي .

يوسف، اسمك يا رفيقي الشهيد، أعذرني لن أعترفَ باسمٍ آخر، فأنتَ بالنسبةِ ليعلي سرينة صديقُ المدرجِ و شهِيدُه، انتظري اليومَ أو الغدَ سآتي لكِ بنفسِ الآمالِ و الرصاصاتِ، لن أتأخر، أعدك.

(بداخلي غرفةٌ مظلمةٌ، تم تأجيرُها للوهم، حتى خيالي أصبح لا يملك لها مفتاح)

ح

حلم

" الذي أدركَكَ و تخَافُه، هو الذي خِفتَهُ بقلبِك من قبلِ أن تراه "

صدقِيني يا عزيزتي تِلكَ هي حالُنا، أنا وأنتِ آياتُ ذلك للبشر .

الرائعُ في وساوسِنا النفسية، أنها تفعل ما يحلو لها، لا شيءَ يسبِقُها أو يُوقِفُها، إنْ فَكّرْتَ في القتلِ تجعلْكَ قاتلًا متى تشاء، و إنْ أحببَت الخوفَ، خِفتَ كلَ شيءٍ.

عزيزتي، اسمعي، إذا جَبُنتِ أمامَ نفسِكِ، واستسلمتِ، فقد مات الشاهُ في لُعبتِكِ، ابدأي لعبةً جديدة، انفُضِي خوفَكِ من نفسِك، استخلِصِي روحَكِ و اطفِ بِها .

قَرَأَتْ تلكَ العبارةَ في كتابِ كيفَ تتخلص من وساوسكَ الشيطانية، وتصبحَ بشرًا حرًا.

ثُم دخَلَت على سريرِها لتنامَ على ظهرِها، مفروشةً كالنجمة، ترفع رأسَها للسماء، وهو يهمسُ لها بكلِ شرٍّ محبب، فتنكمش كجنينٍ في الرحم، ذكرياتُ الماضي لا تَنْفكَّ تنسلُّ مِنْ كلماتِه كالماءِ .. الحياةُ سرياليةٌ إذا تَرَكْتَ نفسَك لنفسِك الأُخرى .

كانت هنالِك شمعةٌ على المنضدةِ يُحدِّثُها عنها، الشمعةُ جميلةٌ و مفيدة، ولكِننا لا ندركُ أهميتَها إلّا بعدَ ضياعِها تمامًا كالحياة .

رأسٌ معبأٌ بالأوهامِ مِثلَها، لا يهمها في أمرِ الشمعةِ شيءٌ، مالَها الشمعة ؟!

فلنتركْ كلَ شمعةٍ وحدَها تحترق، تخترق، ترقص، تضيء، مالي ومالِ الشمعات، أنا في وادٍ و هُم في وادْ
.

صَمَتَ قلِيلاً و انتظَرَ ثُم نَظَرَ للخارج، هَبّت رياحٌ ثقيلةٌ كرياحِ الخريف، و انطفأَ النورُ، لهذا حدَثَني عن الشمعاتِ، أعطاني إنذارًا مُسبقًا. حسنًا سأجلِبها الآن.

اختَفَت الشمعة، مالي لا أجِدُ شيئًا يُرشِدني؟ هنالِكَ حبلٌ على المنضدةِ بجوارِ الشمعة، سأتدَبّرُ أمرِي بهِ، الحبلُ سيوصِلُني للخارج بعيدًا عن عتمَتِي .

لا لَمْ تصل عتمةَ رُوحِي لتلكَ الدرجة، سأجدُ مخرجًا بهذا الحبلِ، أؤمِنُ بأنَّ يومًا سيخرُجُ من عَتمتِي قمرٌ.

أينَ الحبل؟؟

ها هو، مالُه أصبحَ وثيرًا هكذا، يبدُو كأنّه قَصُرَ وهَزُلَ، الأوهامُ تحيطُنِي حتى في الوهمِ لا يجب أن يتحرك ، مكانه في رأسي، أيَصدُرُ صوتٌ من حبل؟!

ضوءٌ قادم، إنها شمعةٌ مُشرِقةٌ، حمدًا للهِ، اللهُ لا يترُكُكَ حتى في وساوسِك .

الحبل .. إنه كالأفعى !

كيف تحول طوقُ النجاةِ لأفعى، الوقتُ يُسَرِّبُه الوهمُ، كم مضَى ؟!

الأفعى تلدغُني بِفعلِي، ياليتَ نفسِي لمْ تتسَللْ إلى سريرتِي .

أهَكذا ينتهِي المرءُ في ظلامِه الخاص؟

ارتَطمَت رُوحِي بالأرضِ، لا أرَى أو يرانِي شيءٌ، أينَ أنا !!!

أعوذُ باللهِ مِنك حُلمٍ .

(تلك المرة الأولى التي أتذوق فيها طعم المشاعر الباهتة، لم تعجبني عامةً، ما زلت أفضل الشمبانيا)

ا

مسرح الحياة

و ما الحياة إلا مسرحٌ كبير.

جملةٌ سيناريوهيةٌ عظيمةٌ، خاتمة لمعظم التجارب الشخصية في حياتنا، مسرحنا كما كل مسارح العالم مؤذٍ وفاضحٌ، الجميع مباحٌ للجميع .

نزل الستار معلنًا نهاية الرواية، وبداية الواقع، و انتهى التصفيق والضحك، لينزل وفيق في نهاية عرضه المسرحي الجامعي، و هو واثقٌ من أن تلك الجملة لن تنطبق عليه، كلنا هكذا في البدايات، حتى الأكثر تشاؤمًا يعتبر متفائل.

فالمسرح جُعل لنضحك على الآخرين، أما نحن فخارقون لن يحدث لنا شيءٌ من هذا، فنحن أذكى من الجميع، حتى الحظ ذاته نحن محظوظون عنه، صدقني نحن كلنا كذلك في المراهقة .

الصديق العزيز قاسم جلس هناك في الصف الأخير، هو دائمًا متأخرٌ لسببٍ ما، يجعل نفسه في الخلف، حتى تظنه ليس موجودًا من الأساس، وقف ما إن رآه و حضنه حضنًا يليق بالمحاربين و الأبطال بعد عودةٍ من المعركة، ليبادله التهنئة على مسرحيته ، أخذَ بيدِ صديقه يشد عليها ليخبره بنبأ سفره في الغد.

فرح له وفيق في الوهلة الأولى ثم سأله كيف سيقدر على الوحدة والغربة معًا، فابتسم ابتسامةً أعرف معالمها جيدًا و أجابه بأن الوحدة ليست له مقدّرة .

ما زال المشوار طويلٌ للغد، التجنيد سيؤخر أحلامه ثلاثة سنواتٍ أو أكثر، نظر إليها على الجانب الآخر من المسرح وهي تبتسم، يا الله كيف تكون الملامح دقيقةً بهذا الشكل.

مرت أمامهما وألقت التحية ونظرة عين وانصرفت، قاسم يبتسم و وفيق يبتسم وهي ترد، وضع قاسم يديه على كتف صديقه و طبطب عليه بأن الغد صعب، فتأهب يا عزيزي.

لم يفهم وفيق شيئًا من كلامه، و لكن قلب الصديق على صديقه يحنو، وقرر أن يزورَ صديقه غدًا بهدية، فهذا هو الوداع .

ذهب متأنقًا مرتديًا قميصًا يمتلك قاسم توأمه، تلك اللحظة ستُحفَرُ في ذاكرتنا لآخرِ العمر .

السلالم طويلةٌ و متعبة، كلما ارتقى درجة ظهرت أخرى حتى بدت أنها بلا نهاية، الأنوار معلقةٌ على كل بابٍ، النور يجعل الفرح يبدو أحلى، والحزن أصغر مما نظن، زد من نورك يزدد فرحك .

إلى أن وصل إلى شقة صديقه القائمة في هذا الطابق مفكرًا بحياةٍ قد انتهت، ليجد حياةً تبدأ.

زواجُ صديقِه اليوم !!!

كيف لم يخبره؟ و لِمَ لمْ يخبره؟

العروس بالفستان الأبيض الجالسة هناك، عندما وقعت عيناه عليها، ظن نفسه يعرفها، و الأكيد أنه لم يرَ حقيقتَها إلا اليوم.

هو على حق، فهو حفِظَ ملامحها عن طيب نفسٍ، العروس هي و هو عريسها، إنها هي الممثلة إلى جانبه على خشبةِ المسرح، والحبيبة التي كانت قد وعدته بالزواج في الغد ولكنه نسِيَ أن قاسم هو المخرج لتلك المسرحية في الأصل .

لا شيءَ يجعل الجمهور يضحك حتى تتفجر عيونُه دموعًا إلا الغباء من ممثلٍ في مشهدٍ ما، ولا يوجد أغبى مني اليوم، فلما لا أسمع صوت الضحكات تهز المسرح.

حركةٌ خفيفةٌ على كتفِه، صوتُها ينبِهه، لِمَ تأخرت؟

انتظرتك كثيرًا، حان الوقتُ لتفاتح أخي في موضوع زواجنا، فقد تزوج اليوم، و هو صديقك، لن يبخل عليك بي.

كلماتٌ و أنوار و ضوضاء، و هو واقفٌ مكانَه، لا يتحرك، صفعةُ الغدِ رُدَت لكَ اليوم، خُنتَ صديقك، فسرق منك حبيبتك.

القدر لا يكيل بمكيالين لأحد، فلا تتعجب لقدرك، فأنه صنعك .

مُجرجِراً أطرافَ أحلامِه وراءَه، آخذًا هديتَه معه، يكفيه الهديةُ الأخرى، هديةُ العمرِ كلُه يا صديقي، فلا تنسى أبدًا صديقَك المسرحي .

(علموا أولادكم البكاء، فهو المتنفس وقت المِحن)

ب

زينـب

ملائكيّةٌ هي زينب فِي تلكَ اللحظة، طِفلةٌ تحملُ طفلةً، إحدَاهُما جميلةٌ، بل كليهما جِميلٌ وطُفولِي .

جلست عائشة تحمل زينب بين ذراعيها، تحميها من كلِ رياحٍ لا تشتهيها، ارتكَنَت إلى حائطِ الغرفة وهي تُرضُعها، الحائطُ يسنِدُ ظهرَها و يُجبُرُها، ثديٌ يُدرُّ طيبةً و سذاجةً ،عندما ستفطمها ستعطيها الخيبة كأول طعم .

يومٌ حارٌعلى غيرِ عادتِنا في بلادِنا، الشمسُ تصوغُ نفسَها من جديد، تبرهنُ على قدرتِها في الحرقِ و الجردِ، عائشة مشغولةٌ بالبيتِ والأشغالِ، طفلةٌ هي لمْ تتَعَدْ التاسعةَ عشر، مشغولةٌ بأشياءٍ مهمةٍ لها، تافهةٍ للآخرين .

زينب هادئةٌ كعادتِها، لمْ تبكي اليومَ .. ربما أكثر من عادتِها بقليل .. ربما تخطت الحد.

أخذَتها عائشة لتضمّها لصدرِها، كأنّها شمسٌ بين ذراعيها، جبهتُها نارُ الحمم، الثلجُ يذوبُ على جبهتِها يا عائشة، ماذا ستفعلين؟!!

ابنتُك تغلي يا عائشة .

ماذا هُناك يمكن أن تفعليه؟؟؟

الثلجُ، الحلُ هو الثلج. كماداتُ ثلج، مئات المرات وهي تأتي و تذهب بالثلج، و هو يتبخر على جبهةِ ابنتِها .

ماذا ستفعلين يا عائشة ؟؟؟

لم أتعلمْ شيئًا في المدرسة عن هذا، لم تعلمني أمي، لم يعلمني أحد، تركوني للتجربة تعلمني ما تشاء .

تعلمت الحسابَ والأدب والبلاغة والنحو، ولم يعلمني أحدُهم كيف أحيكُ طرفَ عباءتي بالخيط، ولا كيفَ أُداوي ابنتي من النيران .

سأضعُها في الثلاجةِ دقائق، بل بضع دقائق قليلة، فقط حتى تهدأ .

هناك تركَتها لخمسٍ أو تزيد، ثم أخذَتها لتنصبها بين ذراعيها، تحرِّكُها كالدمية، لمَ أثلَجَت هكذا!!

حتى صوتها ليس هناك من صدىً لهُ في صدرها، جسدُها هامدٌ، ها هو سكون الموت يلف صغيرتي؟

لا أعتقد ذلك، لعلها غَفَت، نامَت، أيُ شيءٍ إلّا ماتت.

مهرولةٌ كغزالٍ مذعورٍ بين الدُروبِ، تحملُ ابنتها في حضنِها إلى أقربِ مشفى. أقربُ مشفى بعيدٌ يا عائشة، الويلُ لكِ .. كلُ الويلِ قُدّرَ لكِ .

نصفُ ساعةٍ لم تَكْفِها حتى تصل، وصلَت لصيدليةٍ صغيرةٍ على جانبِ الطريق، دخلَت وهي تحملُها ترجُو بُشرى خير.

نظرَت الطبيبةُ للطفلةِ و جابَت بعينيها المكان، لعلّها تجدَ ملاكَ الموتِ حاملًا تلكَ الروح، فأغمَضَت عينيها و ردّدَت: "البقاءُ لله" .

جلسَت عائشةُ إلى ذلِكَ الحائطِ بعدَها بعامٍ، الحائطُ لا يسندَ ظهرَها تلك المرة، جالسةً تحملُ زينب أخرى على يدِها، ما زال الحائطُ يحملُ رياحَ زينب و بكاءها .

(العاهةُ الجسدية نتأقلمُ معها، والعاهاتُ النفسية تسحقُنا في زنازينها)

د

شوكولاتة ممدوح

صديقُنا ممدوح شابٌ لطيفٌ في أوائل العشرينيات، هو مؤدبٌ محترمٌ ملتزمٌ في دراسته، يشهدُ له الجميع بالأخلاق، وهو محبوبٌ من الجميع، تلك الأسطوانةُ المحفوظة لدى العائلة .

حتى جاء الفريد، الأستاذ فريد وحيد جاره، هذا الفريد الوحيد اسمٌ على مسمىً، فهو يعيش بمفرده ويُمَثِّل حالةً فريدةً من العُزلة، الأستاذ الذي لا يكلّ ولا يملّ من العزلةِ عن كلِّ شيءٍ و أيّ شيءٍ و كأنّه رئيس لجنة العُزلة الدولية، على أيّة حالٍ الأستاذ فريد أصبح منزعجاً من صوتٍ غليظٍ و غريبٍ

عنه، يسمعه أولَ مرةٍ في العمارة، و كأنه صوتُ كلبٍ. صحا من نومِه وغَسَلَ وَجهَه ليَتأكد مِن أسوأِ كوابيسه، و جرى على باب الشقة، ليجدَ كلبًا مربوطًا أمامَ بابِ الجيران .

أخذَ الأستاذ فريد حبةَ شجاعةٍ من على رفِ كرامتِه، و انطلق من لجنةِ العُزلة الدولية لبابِ المرافعةِ العالمية عن حقوق الإنسان كارهًا أصواتَ النُباحِ حولَ العالَم، كيف نترُكُ كلاباً تعوي هكذا؟ ألا يوجدُ منفذٌ من تلك الوحوشِ حتى أصبحَت تسكنُ معَنا في بيوتِنا ؟ ألا لعنةُ اللهِ على محبي الكلاب .

عُقد المجلسُ وفُضّ دونَ حلٍ، فكلبُ ممدوح سيبقى رغمَ كلّ كارهٍ أو حاقد، على رأي البواب الذي لم يرَ جنيهًا واحدًا من جيبِ الأستاذ فريد .

جلسَ الأستاذُ فريد في بيتِه يتأملُ وجودَ وحشٍ كهذا في بيته، فلا مفر مِن المحكوم، لا يجتمعُ الكلابُ والأستاذ فريد في مكانٍ واحدٍ مهما كان، هكذا جَرَت العادةُ، يتعاملُ معَهم كأنّهم يفهمُون ويسمعُون، لكنّهم خونةٌ و أكثرُ دناءةً من البشر، لمَ هذا يا أستاذ فريد؟ أعضّك كلبٌ في صِغرِك؟

حقُ الجارِ لا يُهضَم، يَجِب أنْ يتكلم، فقَفزَ من على كنبتِه، ليصلَ إلى الجرسِ يضغطُه كأنّه يضغطُ على نعشِ أبيه، يرجُو خروجَ الحلِ مِنه .

خرجَ ممدوح و في أعقابِه كلبُه الصغير، فُتِحَ البابُ وبابُ الحظِ أيضًا، ليرى قطةً حسناءَ ممتلئةً تهبِطُ مِن على السُلّم، لتلمعَ عيونُ الكلبِ ويقفزُ كأنّه (مادس ميكلسن) لاعبُ الجمباز، يتخطى كلَ الأشياءِ أمامَه ليصلَ لنقطتِه هي، الفريدُ فريد فَهِمَ أنّه يهاجِمُه فاندفع أمامَه يجرِي كطفلٍ يجري خوفاً من أمِنا الغُولة، لتهربَ القطةُ هي الأخرَى، مسابقةُ جريٍ .

فمن يَكسَب !!!! أتمنَى أن يكسَبَ ممدوح.

صُراخ الأستاذ فريد في منتصفِ الليلِ مَعَ خليطٍ من المُواءِ والنُباحِ كانَ كفِيلاً بإيقَاظِ العمارةِ كلَّها، فاعتبرَه الجيرانُ مجنُوناً و مُخرّفاً بعدَ ذَلك المَوقِف .

أخَذَت القطةُ عُمرَها و هرُبَت، و فريد قرارُه اليومَ سيموتُ الكلبُ .

لا الساعةَ ولا طولَ اليومِ منعَا فريد مِنَ النزولِ، ولا مِن شراءِ سُمِّ الفِئرَان مِن البقالة .

سمُّ الفِئران وحدَه غيرُ مغرٍ لفأر، فمَا بالَكَ بكلب، فاشترى معَ السُمِّ شُوكُولاتة ليَضعَ بِها سُمَّه كاملاً .

الكلبُ سيخرجُ صباحًا أو مساءًا أو أيَّ وقت، فوضعَ الشوكولاتة على ورَقتِها المفتُوحةِ بجوارِ شقّتِه إيمانًا منهُ بالمؤامرةِ عليه من كِلابِ العَالَمِ .

ساعاتٌ محدودةٌ فاصلةٌ، تِلكَ الحالةُ من النشوةِ التي تجعلُه يَرقُصُ لخَبرِ وفاةِ الكلبِ يتخَيلُها ويعِيشُها، الكلبُ الذي اعترفَ عليه فِي الصِغرِ عندَ أبيه بأنّه يلعبُ الكرةَ عِندَما وضعَ الكرةَ فِي فَمِه و ذهبَ يجري بِها إلى البيتِ ليُعلِمَ الحَاضِرَ و الغائبَ على طُولِ الطريقِ عن لَعبِ الكُرةِ الممنُوعِ في المنزل، ذَلِكَ الكَلب البُوليسِي لصاحبِه رجُلِ البُوليس كانا السببَ في عاهةٍ مستديمةٍ فِي القدمِ اليُسرى لفريد، طِفلٌ أصبحَ صَاحِبَ عاهةٍ لعاهةٍ فِي عَقلِ أبِيه، يجِب أن يكرهَ السَببَ مَهمَا كان .

الفكرُ يأخذُهُ ويسافِرُ ويعُودُ وكُلُ ذلِكَ فِي ساعَات، حتى سمِع ضجّةً قادمةً من الخَارِجِ، حَدثَ المَطلُوب، يَبدُو أنّه غَفا لوَهلَةٍ و لكِنّه استيقظَ مِن مُتعَةِ الانتقَام، فالكلبُ يعوى على السُلّم، يكادُ يبكِي لو أنّه يعرِفُ لهُ طرِيقًا، لكنّه حَيّ !

تِلكَ القِطّةُ المُمَددةُ أمَامَ الشَقّةِ يعرِفُها مِن مكَانٍ ما، آه، يبدُو أنّها قطّةُ الفنَانةِ المشهُورةِ الرَاقِصةِ المعرُوفةِ، تُعامِلُ تلكَ القِطّة كأنّها ابنتَها الوحِيدَة.

و قَدْ ماتَت، آثارُ الشوكولاتة على فَمِها تدلُّ على طريقةِ مَوتِها .

أخَذَ الأستاذُ فريد يُحاولُ أن يسحَبَ جَسَدهُ لشَقّتِه، وهُوَ يسمَعُ تهدِيدَ الفنانةِ بموتِ وحَبسِ مَنْ كانَ السببَ مِنَ الناسِ لو عرِفَتهُ .

مَمْدُوح يحتَضِنُ كلبَهُ ويُداعِبُه : " الحمدُ للهِ أنك لم تأكُلْ الشوكولاتة يا شوكولاتة. حِسُّكَ البوليسي ساعَدَك و عَرِفتَ السُم، شوكولاتة، اسمٌ يلِيقُ بهِ حقًا".

نَجَا شوكولاتة مِن الشوكولاتة، و بَقِيَ الأستاذ فريد في موقفٍ فريدٍ مَع راقِصَةٍ غاضِبةٍ على السُلمِ وحدَه، يجِب أن يهبِط أو يصعَد ولا يقف هكذا على السلالِم، إنَّه يتعَاملُ مع راقِصة، فلا يجبَ أن يرقُصَ على السَلالِم، ستَهزِمهُ بوسطِها.

م

سمسم

دلليه ، دلليه ،ستفسدينه .

تلك الجملة التي تقولها نساء العائلة والحي لوالدة ياسين بتهكم واضح، مدلل أمه ،ولدها الوحيد بين ثلاثة إناث ، ديك البراري كما تسميه جدته .

الصغير جميل المحي، ربما لا تستعجب كيف أعطاه الله كل هذا الجمال ، الجينات لن تساعده في تلك الناحية، لكنك تدرك سريعاً، أنه اخذ منه الكثير في المقابل ، فبياض وجه مشرب باصفرار الجلد ووصل لحدقة العين، وتسارع في دقات القلب الخفي، يبدو هو المسبب لاحمرار وجنتيه.

شحوب وجه الجميل، يؤدى لذبول قلب أمه، ربما السبب تلك العين الحاسدة له، أو خوف أمه الواضح من فقدانه يتجسد في هيئة مرض، يتسلل له ويقتله .

أمي يا أمي بطني تؤلمني، أمي اشعر بالدوار، أمي آخى سقط أرضاً، أمي أنفي ينزف، اشعر بالآلام في عظامي، لا أريد الأكل .

ذات مرة، هبطت من سريرها مائلة الخطى من اثر النوم والخوف، ريمه الصغيرة كانت واقفة في الصالة استيقظت لتشرب، خبطت ريمه الصغيرة وهي ممسكة بزجاجة المياه، ف التصقت بالثلاجة، وارتدت الزجاجة عليها، فنزف انفها، وأكملت أمها طريقها لأخيه، دون واعي.

حادث عابر لا يذكر، لكنه ينخر في الذاكرة.

عام يمر يليه أخر يجرى ،العمر يفنى ووجعه لا يفنى

قدماه تؤلمه دائماً، ومتعب تارة، ولا يستطع الأكل تارة، كل الاهتمام يصب صباً على ياسين، كأنه نبي جاء بعد عهد من التخبط .

عهد ووعد، التوأم لا يهتمان، فكلا منهما لها الأخرى، وبقت ريمه بلا أحد تنزف نزيف جرح الحرمان داخل المرء.

الباب إلى الطريق يفتح طريق أخر، وكل الطرق تؤدي للقدر.

ينتظر الوالد بجنب الباب نتائج الاختبار المائة بعد الألف، ربما يكون شئ خطير تلك المرة، وربما لا، لعله خير، ويلطف الله به ويترك له صغيره .

المغلف موضوع على المكتب، ينتظر إن يراه الطبيب، هو أب ويريد إن يطمئن على ولي عهده، وإن لم يكن صاحب ملك ،لكنه لن يفهم شئ، ولكن ربما فهم .

الأنيميا هي السبب، تلك النقطة واضحة منذ سنوات، ولكن مهما أكل، يظل هكذا، هزيل العود، مثل عود القصب، لا يسمن ولا يكبر .

يفتح المغلف يقرأ ما كتب في النتيجة .

G6PD Deficiency

Mediterranean variant

لا شئ من هذا مفهوم، لكن البحر المتوسط مكتوب، ربما هو السبب، لعنة الله على البحر المتوسط، وكل البحار التي تهدد حياة ابنه، لو عرف كيف يشرب مياه كل البحار في داخله، لينقذه، لشربه جرعة واحدة قبل السحور وصام باقي العمر، إن بقى في العمر شئ .

خرج من عند الطبيب وهو يهرول ممنوع الفول، كل شئ إلا فول، دم ابني لا يتحمل الفول، مرض وراثي نقلته الأم إلى ولده الذكر، حيث تنقله للذكور فقط ، يمنع عليه أكل ذوات الفلقتين وإلا تحلل دمه وأصبتها الأنيميا الشديدة .

كل ما هو مفلوق حرم على البيت والجامع، الولد الوحيد يا ناس سيموت بسبب الفول .

ريمه الصغيرة تكبر، شبر وراء شبر يصيبها من الطول، لتصبح أنثى صغيرة قوية، كوردة بلا صاحب حديقة، كأي وردة برية متروكة للجميع، وياسين مازال هزيل، لا يأكل إلا ما تيسر من البروتين غير المفلوق .

ربما كان الصوت سيئ ، ولكن ليس بسواء الدعوة، عند الشروق، بعد صلاة الفجر، كان جالس على المصلى يدعو الله أن يشفى أبنه، مقابل أي شئ أو كل شئ حتى بناته، التي بدء الخطاب يطرقون أبوابهم، ويقدموا ورود واللآلئ لهن .

ربما توقعت تلك الأمنية في دخلهما ولكن جهراً، لتلك الدرجة هو عزيز ونحن عبيد .

خرجت ريمه على أطراف أصابعها، تجلس تحت شجرة السمسم، تنتظر مشاهدة الشروق كما تعودت، تفكر في كل تلك الأشياء السيئة التي حدثت لها من أهلها، القرارات السيئة سيئة، لأنك تقررها وأنت غاضب وحاقد من أناس تسببوا بالأذى لك .

قررت أن تأخذ منهما ياسين، وتعطيه لله، يهتم هو به، ويصبحوا هما لها، فتشفي ما بها من آبار الحرمان، تقلب رأسها وهى تفكر، كيف ستبدأ تلك المأساة ، نسمات الهواء ترتمي فئ أحضان شجر السمسم، قبلات الهواء، تقبل كل غصن فتنزل عليها حبات سمسم، طرية، صغيرة تنتثر حولها، كما يسقط الثلج على رأسك من السماء في باريس في أدفئ ليالي الشتاء .

حفنة السمسم التي تكومت في حجر جلبابها، أعطتها فكرتها، ستقتله بالسمسم، هذا الصغير، لن يلتفت أحد له، على أنه قاتل في حالة أخيها، ربما تضيف حفنة كل يوم على كوب العصير في الصبح، وحبذا لو كان مطحون، لن يلاحظه أحد .

المطبخ على أتساعه كان يضيق بها، الحركات توقفت فجاءه، الأكواب كلما أمسكت منها واحد انزلق من يدها وهرب إلى الأرض، يتهشم إلى الفراغ ، كوب يليه كوب حتى انتهت كل الأكواب، حتى أمسكت بواحد بلاستك لن ينكسر منها، ووضعتها ووضعت السمسم في الخلاط مع بعض المانجو، ووضعت حبات السكر تغطى طعم سم قلبها، وانفلت تصب العصير ووضعت للكل كوب، أستيقظ الجميع، كل من يستيقظ يجد كوب جاهز، فيشرب ويشكرها، ويبتسم فتبتسم بدورها وتنتظر، تأخذ نصيبها في باقي العصير، عندما تتأكد أن الكل شرب نصيبه .

ياسين يشرب عصيره يوما بعد يوم، طفل ملتزم، كام عام سيتطلب حتى تنتهي الأنيميا منه؟

ربما لو قام بأي نوع من الفحوصات، لأنهى الأمر ببضع المقويات وأصبح كل شئ على ما يرام من جديد، الحبكة أين الحبكة لنهاية الموضوع !!

كيف سأضمن موت هذا المتسلق، اللص الذي لا يشبع من حبهما، ويكيبيديا هو الحل، نوع من أنواع الحلول السهلة، البحث بين طياته عن كل شئ يخص المرض، وربما الأدوية الطبية التي يجب منعها، الأم أصبحت تحفظ كل الأكلات الممنوعة، والغير ممنوعة احتياطا، فالحل في الدواء ،

تفتح صفحة وراء أخرى، العالم أصبح مفتوح كالسماء، كله متصل، لتجد (بروكيناميد – كوينيدين – أسبرين)

أدوية تسبب سيلان بالدم، إذا أخذت منها بكمية كبيرة، مع أول نزيف، يصفى جسدك، وتموت .

تلك الحبة الصغيرة التي تعالج الصداع تعطيها لأخيها، من وراء أمه كما اتفقوا حتى يهدا صداعه، خمس مرات في اليوم تكفي .

يوم 31 ديسمبر، نهاية عام وبداية عام جديد، يحمل أماني جديدة وجميلة، يجلس الصغار فوق سطح المنزل، ينظروا الألعاب النارية، ريمه تنظر إلى الأعلى وتتمن إن تنتهي المهمة سريعا .

تطاول يدها لتمسك نجمة في الأعلى تلمع لها خصيصا، تبدو ك غاوية تتمايل أمام راجل، تطاول أكثر وأكثر لا تصل، وهي تلمع لها بعيون غمازة، تخطو إلى الأمام أكثر وأكثر، خطوة نحو الأعلى، ستصل مهما كثرت الخطى صوت قادم من الخلف، انتبهي يا ريمه، وهو يشدها من فستانها، انتبهي يا ريمه، فتدافعه بعيدا عنها اتركني، هي لا تسمعه، تعتقد أنه يريد تلك النجمة أيضاً، كما يأخذ كل شئ، يقف أمامها ليمنعها، أنتِ مجنونة، ستسقطين من أعلى، وتموتين .

تلك النظرة في عينيها لا توصف، شئ من القسوة والضعف والجنون، يعلوها كره مستوطن داخل القلب، تتحطم أمامها كل القيم الإنسانية .

تدفعه من أعلى، ليسقط مهشم الرأس.

تقف لتنظر إليه والدم يحوطه أكثر فأكثر، كبحيرة صغيرة انفجرت من ينبوع صغير، تتموج أكثر فأكثر، فتتمدد لتصبح بحيرة كبرى لها حدود، هي لم ترد ذلك بتلك الطريقة، تهرول إلى أسفل، لم أصبحت السلالم طويلة إلى تلك الدرجة، الوقت لا يمر أو يمر ضد رغبتي، هو جالس هناك وحده، صغير أخته، يخاف الدم، يا الله أنقذه .

تخترق الباب لتجده لا يتحرك، كل شئ به ، ساكن، الدم حوله كالبركة في الحديقة، ملطخ البلاطات حوله، تركاً مساحة لأقدام المشاهدين .

نور قادم من الحديقة، وصل أبيه وأمه، هنالك صرخة هزت أعماق جذور هذا البيت، وسؤال مطروح ماذا حدث يا ريمه ؟

لا أعلم ماذا حدث، أنا كنت أريد تلك النجمة، وهو حال بيننا، فانتهه له الحال هكذا .

لكن النجمة في السماء، لم تكن موجودة من البداية، هي خيال دفعا إلى أعلى فقط، كل ما تم كان خيال يصوره، عقلها، إلا موت ادم أخيها .

(هنالك أزمة اقتصادية عالمية، الأمر لا يعنيني حقًا، ما دمت أملك ثمن قهوتي)

ع

قهوة تركي عالمية

مغريةٌ هي كغجريةٍ ترتدي الألوان، لا تتعجلها أبدًا، اللِينُ معها محببٌ، خطفَته عندما رآها لأولِ مرةٍ، سمراءُ هي بلونِ السَحَر، دقيقةُ الملامحِ، ترتسمُ كأنّها زبدُ البحر على شاطئِ الحب .

تمتدُّ يدَ خالدٍ عليها ليقبلَّها، لا جدوى من التقبيل، فقط لحظاتٌ ثم تختفي النشوة، ينطفئُ الحبُ فيحتاجَ لأخرى، كأنّه يتنفسُ قُبلاتِها .

عُلا مقاطعةً لخالد خلوتَه بكلماتِها: "و كأنني لستُ موجودة، وهي سيدةُ البيتِ و الحبيبةُ وحتى أمُ الأولاد".

ابتسمَ خالد و رددّ بقلبِه: "ليسَت هي الزوجةُ، ولا سيدةُ المنزلِ، ولا أيًا مِن المُسميات، هي فقط حياة".

" ستقتُلُك يومًا ما" أردفت عُلا قائلةً .

" قتلَتْني يا عزيزتي مسبقًا، لقد قتلتني بالفعل" ضاحكًا لها .

ضِحكَتُه تلكَ ذكرَّته بضحكتِها، حنينٌ إليها خطفَه .

يومُ نزلَ ضيفًا عندَ جدتِه في الصعيد ليقضي الأجازةَ الصيفية .

كانَ معترضًا و يريد قضاءَ الوقتِ بالقاهرة، و لكنّ إصرارَ الوالدِ طغى، خافَ عليه أن ينخلعَ من أصلِه و جُذورِه كالشُجيراتِ الهاربة .

وصلَ صباحَ يومِ السبتِ في القطار، و استقبلَه عمُه الأصغر و جدتُه .

خرجَ ليلعبَ بالحديقة، شأنُه شأنُ الأطفالِ في سنِّه، و وعدَ بألّا يتأخر .

لم يجدْ رفقةً فقرّرَ أن يتمشى مع نفسِه، يداعِبُ النبَاتاتِ مِن حولِه، خائفًا من الحيوانات بشتّى أنواعِها، فهُوَ ليسَ معتادًا عليها مثلَ باقِي أقرانِه في القرية .

لَمَحَ عينين واسِعَتين تلْمَعان في ضوءِ الشمسِ كأنّهُما حَبَتا مطرٍ في قوسِ قزح و السماءُ كحلاءٌ .

ذهبَ إليّها يتساءلُ حقيقةٌ أم خيال !!

إنها قهوةٌ، تشبِهُ المزيجَ الذي يشربُه أبُوهُ كلَ صباحٍ، شيءٌ ما حدَّثَه باسمِها .

سألَها عن اسمِها، فقالَت قهوة فانشرحَ صدرُه .

ذهبَت و اختفت، ربّما اختَفَت إلى الأبد، أو للغدِّ فقط و لكِنّها اختفَت .

استيقظَ مُنذُ الصباحِ يبحثُ عنها، وجدَها تتعلّقُ بذراعِ أبيها.

" صباحُ الخيرِ يا قهوة" بادَءَها القولَ .

لتردَّ الصباحَ الجميلَ ببراءةِ البِدايات .

الأبُ مُقاطعًا بلهجةٍ من التعَالِي بلكنةٍ تركيةٍ متعجرفةِ المنطق :

" مَن هذَا يا قهوة، ألا تُعَرّفِينَني إليه ؟ "

" هذا خالدُ ابنُ البيتِ المجاورِ لنا".

أخذَ يدَها في يدِه، مبتعدًا عن ضوضاءِ الكبار و لكنتِهم، ليَسألَهَا عن اسمِها، و كلَ ما يتعلقُ بفَلَكِها .

أخبرَته أنَّ أبَاها عاشقٌ للقهوة، لذلك سمَّاها قهوة ، ثم أضافَ اسمًا تركيًا، ليدلَّ على سموِ مكانتي و نسبي، فكلُ الأتراكِ أصحابُ نسبٍ ملكيّ، و أشرافُ العالم، و باقي البشرِ غوغاءٌ، هكذا يقولُ أبي".

وقفتُ أمام منزلي أعبث بترابِ الحديقة، عيون جدتي تراقبني .

شيءٌ يحيرني، ما معنى أصحابِ نسبٍ ملكيٍّ و أشراف العالم؟

لا يأتي الصباحُ جميلاً مثلَ عادتِه كلَ يومِ ثلاثاء هكذا، فقط اليومُ كانَ أجملَ من المعتاد، نَزلتُ مسرعًا من غُرفتي لأذهبَ إليها.

أدارت ظهرَها لهُ، و مشَت متمهلةً كالأميراتِ، ثُمّ استوقفه الكلام بعقلها .

لتُبَادرَه قائلةً: "أرجُو ألا تُكلمُني، فقد حُرّم عليَّ الكلامَ مع مَنْ هُم مِنْ دونِ الأتراك، فأنتُم لستُم أهلًا لنا أو لصداقتِنا، يجِب أن أرحلَ الآن".

كلماتٌ سارقةٌ للروحِ من فاهٍ صغيرٍ لا تعيها، فقط حفظتها من تراث الأجداد، تجعلك تدور حول نفسك ألفَ مرةٍ في دائرةٍ، لتجدَها خطًا متوزايًا في نهايتها، فلا تدركْ أو تستوعبْ فتصمُتْ كالأصنام، فالصمتُ حيّزُك وقتُها.

رجِعَ إلى مِقعَدِه و تذكّر العامَ المُنصرم عندما قابلَها في مطارِ القاهرة، عَرِفَتهُ ولكنها ما ألقت له بالاً ، فهي بنت الأتراك .

علا مقاطعة ملكوت خالد : " فيم سرحت الآن يا خالد ؟ أذهبت إلى بلاد الواق الواق ؟ "

كعادته ابتسم وقال :في حبي الأول، القهوة التركي

(ليتك لم تري بكل هذا الخراب، كام تمنيت لو وصلت باكراً)

ح

المحطة

الساعة الواحدة صباحاً

على تلك الناصية الباردة ، يسكن ملاح صديق ، يسمى الليل ، يدرك غايته و وجهته من الظلمة التي يفرشها على تلك المحطة التي أوشكت على الفروغ حتى من الفراغ نفسه .
كانت هي هنا وحيدة ، جالسة على ذلك المقعد الرخامي ، ترتدي معطف طويل يغطي جسدها ، يلفها كما تلف الهدايا الثمينة ، في محاولة لحمايتها من البرد الذي يلحقها منذ ولدت .
تميل بجسدها الضئيل إلى البلاطات المرصوصة بجوار بعضها البعض ، تحملق بها ، تلك المربعات الكلاسيكية التي داستها أقدام الجميع ، فأصبحت باهتة ملساء فقدت تحببها من آثار الراحلين ، تنظر إلى البلاطات ، وتتخيل الغبار الذي تنثر منها بفعل تجارب إنسانية ، مرت عليها ، آلا لام وسعادة ، حب وتعاسة ، ما احْتَمَلها أصحابها فتركوها في المحطة وهربوا .
نفسها المحمل بالبخار يختلط بالغبار المنثور ، يرسم فوضوية الكون المنظمة على جدار الهواء ، فلا تبقى تلك اللوحة ولا حتى الهواء ، الجميع راحلون.

لمقعد على الجنب الآخر مشغول بمداعبة قطة ، تمدد أطرافها على الرخام ، تحاول إن تتذكر طريق العودة إلى المنزل الدافئ الذي تعرف بأنه قريب ، الحب يرشدنا إلى الدفء . الهواء البارد يتزاحم على جسدها ، فتنفض نفسها لتشعر بالدافئ ، تسمع صوت انتفاضتها ومواءها ، ترجع رأسها للخلف ، تجد القطة تلعق ذيلها ، فمدت يدها تتحسسها وتشعرها بالدفء ، تلك اليد الصغيرة عبثت بالكثير وتحسسته ، لكنها اليوم دافئة من قلبها.

أثقلت يدها بجسد القطة ورفعتها ، لتضعها بين ذراعيها وتسكنها على قدميها ، تملس على ظهرها ، تنتظر ، ف القطار الوصل متأخراً خيراً من القطار الذي لن يصل أبداً.

وصل قطار القاهرة أسكندرية على الرصيف الآخر ، نزل الركاب بالتدريج ، منكمشون في ملابسهم ، فبراير سيئ الجو والمزاج والحنين للذكريات ، ينزل الفرد تلو الآخر إلى السلالم ومنها إلى الشارع الفسيح ...

نزل سليم إلى السلالم مباشرة ، ظهره للرصيف والمقعد الرخامي ، لا يهتم بالنظر حتى إلى المقعد ، يحمل أخر لوحاته بين ذراعيه وجواب عالق في جيب البدلة التي يلبسها . " الإنذار الأخير بأن الوقت قد حان، الوقت هو عدوك الأَبَديّ "

وهي لا تزال جالسة منتظرة قطارها الخاص ، التي تعرف بأن وصوله حياة وتأخره موت ،الجواب الذي بعثته تتمنى أن يكون وصل ، ولكن جوابها الحقيقي لم يصل بعد .

الساعة الثانية صباحاً ...

الطريق طويل ، تسل بأي شئ يبعدك عن التفكير ، وضع يده في جيبه ، ليخرج علبة السجائر فأمسك الجواب بالخطأ ، قلَّبه بين يديه كأنه يستكشفه ، فقرأه لم يفهم منه شئ مرة أخرى ، المقصود

بتلك الرسالة ليس هو ، جاءت خطأ بالبريد ، لكن الميعاد المتفق عليه الساعة الواحدة عند المقعد الرخامي بالمحطة ، ستكون بانتظاره في تاريخ اليوم ، نفس التاريخ الذي يحمله الجواب الآخر من المتعهد،يغلق الجواب ويأخذ اللوحة ، يضرب الأرض ليطوي الطريق .
كل تلك الأفكار والتجارب والمطالعات ، ولم ينجز شئ واحد يبهر أحد ، أين الخطأ وفقدان الشغف، ربما الحظ يحكم مدينتنا ، وربما هو لا يستحق .

لماذا ترك الجواب الآخر في البيت وحمل هذا ، أخطأ أو ربما قصد ذلك ، لمن هذا الجواب .

ترك اللوحة على المقعد الخشبي الذي أَسْنَدَ ظهره ، وترك الجواب أيضاً ، وذهب إلى حيث اللا شئ .
ينفث دخان سجائره في الهواء ، تصنع دوائر صغيرة ، يدور في دوائره الفارغة ، ويعود لنفس النقطة .

الساعة الثالثة فجراً

يمر الشفق وهو يحمل الضوء بين يديه ، يصوبه تجاه الأشياء ، ليظهر كلاً على حقيقته ، كان سليم أمام ذلك الأستوديو ، يتأمل الإعلان التسعيايني ، يحمل شعار لمشروب كوكاكولا ، اللحظة المنعشة ، و في الخلفية صورة ل مريم فخر الدين ، ترتشف واحدة .
يعلم أن المرأة الجميلة سر الحياة لدى الراجل ، ولكن الجمال سر الحياة لدى المرأة ، تلك المرأة التي كتبت هذا الجواب جميلة للغاية ، لا يوجد امرأة تحب ليست جميلة ، يجب أن يعود إلى المحطة .
أسرع الخطى إلى المقعد الخشبي في أحد الشوارع الخلفية ، أخذ اللوحة والجواب ، ثم عاد أدراجَه إلى الأستوديو ، ووضع اللوحة أمامه وذهب .

الساعة الرابعة فجراً

يهرول في المساحات الخالية إلى المحطة ، ثلاث ساعات متأخراً عن موعده معها ، لتكن صبورة ، سيصل ، يجب أن تنتظر .

اليوم ربما يكون يوم سعده ، الوصول إلى الغاية له زهوته ، لكن الرحلة وحدها تملك المتعة ، يسرع أكثر ، تعب من كثرة الجري ، فهو يجري منذ ولد ، يجب أن يرتاح الآن ، الراحة التي تجعلك تدرك أن التعب مرحلة ويجب أن تمر الشوارع الفارغة بلا عراقيل ،هي السبب ، الهواء يصده ، الناس وجودهم رحمة أحياناً.

الآن ، يجب أن يصل الآن ، الضوء أصبح يسيطر على كل شئ ، اختفت الظلمة الباهرة ، ف اسْتقرَّ الضوء وخفته .

الساعة الخامسة فجراً

السلالم التي هبطها ، الآن يصعدها ، تمر قطة صغيرة بجواره ، ترفع رأسها إليه ، تموء له ثم تذهب ، يسرِع الخطوة فيصل إلى المقعد، لم يجد أحد.

تأخر ، تأخر كثيراً، أو قليلاً ، لكن المهم أنه تأخر، جلس على المقعد يسند ظهره، لم كنت تلك اللفة الكبرى في الفراغ ، ساعات من اللا شئ، وهو كان يعلم أن هناك من ينتظره ، الحقيقة أحياناً واضحة لدرجة تجعلك تخاف منها .

يسند رأسه، المملئة بالأفكار المشوشة، ربما يجب أن يرحل الآن، ويخلف وراءه خيبة الأمل تلك يد صغيرة تطبطب على كتفه، وصوت يهمس اعتقدت أنك لن تصل أبداً.

نظر لها، بهية كما الصبح الذي يحوطها ب هالته الطيبة، دافئة ومشرقة.

–أنا لا أعرفك.

– ولا أنا أعرفك ، بعثت ذلك الجواب ، انتظرَ الرد من أي شخص ، انتظرَ أن يلبي أحدهم ندائي ، ، إن أعلم بأن هنالك شخص ما في العالم، مازال يهتم دون مقابل ، لا يزال يحترم فطرته ، لا يزال يوجد إنسان حقيقي في هذا العالم الجامح .

تلك النظرة التي تحملها عينيها ، تجعلك تدرك أن الوقت حان ، أن تأخذ نصيبك من السعادة الآن .

تعال الساعة الواحدة عند المقعد الرخامي ، في المحطة القديمة ، أنتظرك ، فلا تخذلني .

المرسل إليه / السعادة .

أحِبُّه عندما يغضَب، فيُوبِّخني، ثُمَّ يحنُو ..

ليتَه يعُودُ ليحنُو ...

أ

أنا إلّا أنتَ

الساعةُ الآن أنَا إلّا أنت

كانَت تِلكَ الجُملةُ الدَروِيشيَّة التي تعَلقَّت عُيونُ فَيرُوز بِها فِي غُرفَة المَعِيشةِ و هي تستَمِعُ إلى دَقاتِ السَاعةِ المُتتاليَة لكَي تُنبّأها بموعدِ بِدءِ السَنةِ الجَديدَة، و هي مُستقبِلَتُها وحِيدةً على طَرَفِ الأمل .

فمُنذُ زَوَاجِها من عَليّ و الوضعُ لا يتَغيّر، هو دَائِمًا مسافرٌ حائرٌ طائرٌ، ولكِنَّه أبدًا غيرُ مُتوَاجدٍ من أجلِها أو من أجلِ زَواجِهِما الذي فُطِمَ من عَامِه الأوَّل .

لتُقرِّر و هي تُشَاهِد العِبَارَةَ أن تتَغيَرَ العِبارةُ وتترُكَ البَيتَ ليُصبحَ هُو إلّا هِيَ، لتُحَلِّق ولا تُبَالِي بأحَدٍ أو شيءٍ إلّا و القلبُ مستَمتِعٌ بكُلِ خفقَاتِ العُمرِ وضَربَاتِ السَعادةِ والفَشَلِ، دَربُ الشَجاعةِ أخَذَها للمُنتَهَى، لتَرتَدي فُستَانًا بَلْ أجملَ فسَاتِينِها وتَنزِلَ على الدَرجِ تتَحَلَى رُوحُها بعِبَاراتِ الثِقَةِ في النفسِ حتى تصِلَ إلى أقرَبِ حَفلٍ يسحَبُها .

دَخَلَت كَدُخُولِ قَيصَرٍ عَلَى البِلَاطِ المَلَكِي، الكُلُ وَاقِفٌ يَنظُرُ لِلفَاتِنَةِ الآتِيةِ مِن خَلفِ العَدمِ بفُستَانٍ طَوِيلٍ يَكسُو عُودًا مُنتصِبًا كَقَوامِ زَهرَةٍ ما فَتِئَت أن جَاءَها الرَبيعُ لتتفَتحَ و وجهٍ جَميلٍ حَتَى بِدُونِ الأخذِ بالاعتِبارِ تِلكَ العينين الفاتنتين تَحتَ قِناعِ الوَردِ، لِيلتَقِطَها هُوَ بذِراعَيهِ و يُطَوِقُها كمَوجِ البَحرِ الهَائِمِ، لِمَ هُوَ دُونَ الرِجَالِ؟

رَقَصَت رَوحُها بَينَ ذِراعَيهِ عَلَى أنغَامِ مُوسِيقَى أُغنِيةِ الحُبِ والوَفاءِ لماجِدة الرُومِي تِلْكَ المَرَّة.

لَيسَت مُصَادفةً أبَدًا، فيبدُو أنَّ القَدرَ يَضعُ أمامَها كُلَّ الخَيارَاتِ لتَختارَ الحُبَ أو الوفَاءَ، لِمَاذا الآن وبالذات تُفكِرُ فِي زَوجِها و هِيَ بَينَ ذراعَّي آخر مُغَطَّى العَينينِ مِثلُها و يَبدُو مِثالياً لهَا ؟ الموُسيقَى تُوجهِهُا فِي الخُطُواتِ والكَلِماتِ في الحَياة.

ما نَفْعُها الأساورْ ... والوَردُ والمرَايَا

وصَمتُكَ المُناورْ ... يَسلِبُني صِبايَ

والقَلْبُ لا يُحَاوِرْ ... يَسكُنُهُ سِوايَ

خُذْ قَصْرَكَ الجَميلْ ... والجَاهَ والبَهاءْ

والمرْمَرَ الأصِيلْ ... ووَحْشَةَ المَساءْ

كَلِماتٍ تَبدُو فُصّلَتْ عَلى حَالِها مَع زَوجٍ غَيرِ مُحَاوِرٍ لِتقفَ فِي وَسَطِ رَقصَةِ القلبِ لتَرَدَّها الأبيَاتُ إلى حَالِ خَوفِها، لِتَقنَعَ بالقَليلِ الحُبِّ والوَفاء .

لَعَلَّها تُحَاوِرَهُ فيهتّم، يبدُو أنَّ شَجاعَتَها انتَهَت مَعَ الأُغنِيةِ و جَرَت كمَا يَجرِى الصِبيَان أمَامَ ضربِ الرِجَال، و ذَهَبَت إلى بَيتِها تَنتظِرُ عَليًا ليَأتِي.

بينَمَا زَوجُها يَبحَثُ عَن الفَاتِنَةِ التِّي سَلَبتهُ لُبَّهُ فِي حَفلٍ رَاقِصٍ، فَاتِنَة العَينينِ القَانِعةِ بالحُبِّ و الوَفاءِ، لَيسَت مِثلَ زَوجَتِه التي تُرِيدُ الجَاهَ و البَهاء.

(صُورُك التى تُحِبُها انعكَاسٌ لرَوحِكِ، فأرِينِى ما بدَاخِلِكِ)

ل

ألبُوم صُوَر

نَحنُ نُحبُ أن نَحتَفِظْ بمَاضِينا فِي قُلُوبِنا وصُورِنا، هذِه كانَت فَلسَفةُ نَاهِد .

جمِيلةٌ هي، امرَأةٌ في نِهَايَةِ الثَلاثِينيات، ذَكيّةٌ، صبُورةٌ، تحتَمِلُ الحياةَ عَامةً .

عِندَما علمَتْ بإصَابَتِها بالمَرضِ الخَبِيثِ في الثَدي قررَّت أن تحتَفِظ لأولَادِها برُوحِها في صُوَر، يُذَكِّرُونَها بِها دائمًا باسِمةً عندَما تَغِيب عن وجهِ البَسمَةِ في الأرض .

صورةٌ من هُنا تُقابِلُها أخرَى مِن هُنَاك، مَعَ أولادِها مرةً، الأحبَّةُ مرة، الزوجُ الحَبِيب، كُلُهُم اختَلطُوا ليَجتَمِع ألبُومٌ يُشَكِّل ذِكرَى تلِيقُ ببُعدٍ ثَقِيلٍ كهذا .

جَاءَ هُو كمَا يجِيءُ القدَرُ مُفرداً ليُصِيَب الكَونَ جمَعًا، ليسرِقَ كامِيرتَها وبِضعَ أشيَاءٍ ليسَت ثمِينَة، ولكنَّها تمثِّلُ ذكرَى أولَادَها فِي الغَد .

حزِنَت كما يجِب أن نحزَنَ وقتَ العَجزِ، فذِكرَاها أصبَحَت ماضِيًا مُنذُ الآن، لا تملِكُ وقتًا ولا طَاقةً لصُنعِ ذِكرَى أُخرَى .

استَيقَظَت فِي غَدِها تحسِبُ باقِيَ أيَامِها بعدَ سَرِقَةِ الأمس، لتجِدَ مظرُوفًا على عتبَةِ بابِها فِيه الكَامِيرا والصُورُ واعتذارٌ مِنَ اللصِّ على مَا حدَثَ، يرجُو العفو مِنها، والقوةَ لنَفسِها .

وأدرَكَت مِنَ الخِطابِ المُرفقِ بأنَّه عِندَما رَأى الصُورَ تذكَّرَ مرَاحِلَ مرضِهِ وبَعثَ بصُوَرٍ لشَعرِه طُوالَ رحلَةِ العِلاجِ، وتذكَّرَ أنّه لم يهزِمْ المرضَ، لكنَّهُ هزَمَ خَوفَه مِنَ المَرضِ، فنَجَا .

اختَتَمَ خِطَابَه بأنَّها لو ترَكَت الصور، سيشكُرُها الأولَاد، ولكن لو هَزَمَت المَرضَ سيَشكرُونَها أكثر.

خَتم خِطَابَه بأنّ الحَياةَ مُتقَلِبةٌ و لكنّها تستَحِقُّ المُحاوَلة فلا داعِي للتشَاؤمِ، الحوداثُ ستأتِي لوحدِها بحُلوِها ومُرّها.

بعدَ ذلِكَ اليومِ ما التَقَطت كامِيرتُها أيَّ شيء، وبدَأَت تلتَقِطُ أسمَاءَ الأطبَاءِ للعِلَاج، الحيَاةُ هِيَ الصورةُ الوحيدةُ التي تُغرِيها لتَلتَقِطُها الآن.

(لعلّك آتٍ .. لعلّي أدرِكُك .. ولعلّ قدرَنا يسِير)

م

سمراء

الأطفالُ أحبابُ الله، كانَت تقُولها عائشة أمُه وهي واقفةٌ في المِترو تحمِلُ زياد صاحِبَ العامَين يشدُّ كلَ ما يقابلُه كأنَّه يشُدُّ انتباهَ العَالَمِ لوجُودِه، تلك المرّة يشدُّ بقوةٍ كأنَّه يلضِمُها برُوحِه في خَيطٍ طَويلٍ .

أمسَكَ يدَها كأنَّه يكتَشِفُ خطوطَ كفِّها، يدرِكُ قِصَّتَه بين خطوطٍ تُشَابِهُ الالآف، هي نائمَةٌ و مَلمسُ يَدِه أيقَظَها، رفعَت رأسَها لتجِدَ عَينَيه، فابتَسَمَت وهو يرفَعُ جسدَه لَها، سرَقَ قُبلَةً ببراءةِ الأطفَالِ وانسَحبَ مَعَ حَركَةِ أمِه لخَارجِ الأتوبِيس .

نحنُ لا نَذكرُ تِلكَ الأيامِ ولكِنَّ الأيامَ تذكِّرُنا، جَلَسَ على مِقعَدٍ في الحَدِيقَةِ يفكرُ بأيِّ شَيءٍ ضَاعَ عُمرُه، خمسٌ وعشرون ربيعًا ذَهبُوا بِلَا عَودَة .

تلكَ اللَحظاتِ فِي مُراجَعةِ النفسِ إنْ لَمْ تَكُن قَويَةً تُدَمِّرُك، كُنْ صَادِقًا لأجلِك .

الدرَاسةُ والعَملُ أخذُوه بَعِيدًا عن رُوحِه، لمْ يَعُدْ يَذكُر ملامِحَ شَغَفِه بأشيَاءٍ أصبَحَت ذكرَياتٍ بلا سَببٍ واضِحٍ .

لعلَّه اختِيَارَ اللهِ، كلُّ الأشياءِ التِي تَضيعُ منَّا نَقولُ أنَّ اللهَ السَبب، وكأنَّ اللهَ أعطَاها ليَأخذَها و لَمْ نَتدخَل نَحنُ بغَبائِنا وغُرُورِ إنسَانِيتِنا .

تحرَّكَ خُطوةً ورَاءَ خُطوةٍ مِن مِقعدِه يُزاحِمُ الهَواءَ، و وقَفَ ينظُرُ لَها، هي تِلكَ الجَميلَة .

سمراءُ، دقِيقَةُ الملامِحِ، مُبهَمةُ الجَسدِ بملابسِ فضفاضَة، واضِحَةُ البَسمة .

كأنَّه رآها مِن قَبل، لا يُميزها عمَّن سُوَاها شَيءٌ لكنَّه مُقتَنعٌ بِشَيءٍ مِن الحَدسِ بها .

بيضاءٌ ذاتَ عُيُونٍ مُلوّنَةٍ ممشُوقةُ الجَسدِ، هَكَذا يُفضِّلُ الرِجالُ العَربُ النساءَ، لعلَّهُم يُريدُون امتلَاكَ مَكتبَةٍ لكِن صَدقنِي هُم لا يَعرِفُون القِرَاءة، هكَذا أيضًا يختَارُون النساء، لن يفهَمهَا ولكنَّه يتبَاهَى بِهَا، غُرورُنا غَبيٌ يا أعرَابيّ .

لن يُحبَّها بالطبع ، ولكن بِها شَيءٌ مُختَلف، لعلَّه طَابعُ الحُسنِ على ذَقنِها، عَينَيها اللامِعَتين كقَمَرِ الصَحَراءِ، كلُّ تَلكَ أشياءٌ، لكِنَّها ليسَت هِيَ .

المُراهقَة؟ الشَباب؟ الطُفولة؟ لأيِّ مرحَلةٍ تنتَمي هيَ؟

تحرَكَت بحَركَةٍ مُبَاغِتَةٍ مِن خَلفِه لتَذهبَ للخَلاءِ وحدَها، رُبما تُراودُه عَن نفسِها، أو لا تُدرِكُ وجودَه منَ الأسَاسِ وتتحرَكَ بعَفوِية .

ذهبَت بخُطىً ثَابِتةٍ حَتى اختَفَى ثَوبُها بينَ الأشجَارِ، جلسَ ذاتَ اليسَارِ لنفسِ المكانِ الذى مرَّت بِه، وفكَّرَ أَهُوَ يَعرِفُها؟

بأيِّ حَقٍّ يفكِّرُ فى اتبَاعِها، غابَ بفِكرِه عن الحَياةِ لدَقِيقةٍ ثُم عَاد، تِلكَ الأشيَاءُ تحدُثُ فِي الأفلَامِ فقَط، حتى هِيَ سمراءٌ لَن تُعجِبَ أُمِي ولن تُبهِرَ زُمَلائي فِي العَمل.

قَام ونفضَّ نفسَه وعَادَ يُفكِّرُ بأيِّ شَيءٍ ضَاعَ عُمرُه، على الرَغمِ مِن أنَّه يتَّبع كُلَّ شَيءٍ بمُجتَمَعِه كما فَعلَ آبَاؤه وأجدَادُه مِن قَبلِه .

(سلامُ لله، لمُحبٍ داب، فعشِقَ واشتاق، قرر أن يتوب، فطاف حضن الحبيب سبع مرات)

و

سَلوَى

سلوى الجَميلةُ ذَاتَ الاثنين وعشرين عَاماً تقِفُ بمُحاذَاةِ رصِيفٍ مَائلِ الخُطَى، كأنَّه مَوجُ البحرِ المُحتَّج؛ ليُعلِنَ انجذَابَه لهاتين السَاقَين الوَاقِفَتين كجُذُورِ شَجرِ المَوزِ المتغلغلة .

تهَرَبُ هي فِي مَاضٍ عَصيِّ النِسيَان موجُوعِ الحُب، بينَما أحدُهُم يمضِي إليها ليَهرب فى الحَاضرِ مِن صُورتِها .

أنا الأكثَرُ حَظًا فِي العَالَمِ أجمَع مِن جَمِيعِ الخَلقِ، فحَتى النُسُورُ الحرّةُ تَغارُ مِنّي، إمرَأةٌ كحَنينِ المسَاءِ تَقفُ أمَامِي شَاردَةً تنتَظِرُ فارِسَ أحلَامِها فِي مَنامٍ يقظةٍ ، بينَما هُو واقِفٌ خَلفَ الأنَام، تشبِهُها! تشبِهُها كَثِيرًا يا الله، شُكرًا على نِعمَتِك، لمْ أكُنْ لأجرُؤَ على طلبِها فِي تِلكَ الحَياةِ حَتى و لَو نُسخَةٍ مُعدَلة .

جَاءَت الرِيحُ لتَحمِلَها كحُبوبِ اللقاح إلى موَاطِنِها، طَارَ خَلفَها بشَوقِه للحُبِ المُنصَرم، لتَنزِلَ بسَاقَيها تغزُو حَشيشَ الأرضِ المُكَفرِ عَطَشًا، لتعلُو و هُو يصعَدُ خَلفَها إلى الأمَلِ ليشدَّه شَيخُنا العَجُوز من يديه، تِلكَ زَوجَتِي التى تَرجُو .

كانَ الرَدُ مُختَزَلاً و تذكَّرَ أنَّ الأولَى كانَت أمَلاً ومَعَ كللٍ انفضَّت والثَانيةُ مُجرّد سَلوَى، فكَيفَ حُسنُ الظنّ بالحُبِّ في مُجتَمعٍ مُكَفرٍ؟

(إلى المُسلحين باللامبالاة، هنيئاً لكم الحياة)

ن

كورن فليكس

وحيدٌ بلا أحَد، أخٌ يصَوصِو بَاحثًا عن فُطُورِه، الفُطُورُ أهَمُ وَجبَةٍ فِي اليَومِ، هَل سَألتَ نَفسَك يَومًا لِمَ هِيَ أهمُّ وجبَة؟

على غُصنِ شَجرةٍ صَفرَاء وقَدْ اكتَظَّ العَالَمُ مِن حَولِها بالصَدأِ العَاطِفِي جَاءَ هَذا الصَوتُ الهَزيلُ مُختَرِقًا شِيشَ النَافذةِ و وَصلَ إليَها هُناكَ لتستَقيظَ مَعَه .

اليَومَ يبدُو مُختَلِفًا، مَتى كَانَت البِداية مُختَلفَةً النِهايَةُ ستَختلِف، أليسَ كَذَلك؟

لبَسَت خُفًا شكلُه لَطِيفٌ، يُذَكِّرُني بِلُعَبِ الأطفَال. الفردَةُ اليُمنَى قُطِعَت عَلى ما يَبدُو فأخَذَت تُقَلِّبُها بَين يديِها لتَجدَ جُملةَ صُنِعَ في الصِين في وَجهِها، لا مَفرَ مِنَ العَطَبِ، إذ هِيَ أشيَاءٌ لِمرةٍ وَاحدَةٍ كالحيَاة.

انسَحَبَت إلى المَطبَخِ تعبَثُ بمَا تَجِدُ لتُقَررَ فُطُورَها، فأخَذَت تَفتحُ كُلَ دُرجٍ وتَنظُرُ إليه لكِنَّ لا شَيءَ يُغرِيها، كُلُ الأشيَاءِ بَاهِتةٌ في يدِها .

الخيَارَاتُ مفتُوحَةٌ أمَامَنا فلا تُغلِق قلبَكَ، كُنْ مُتفَهِمًا لمُتَطلِبَاتِك فَقَط .

وقَفَت فِي المَطبخِ بَعدَ ذَلكَ دَقائقَ حَافِيَةَ القَدمين تشربُ المَاءَ البَاردَ، يَبدُو البَردُ تَسَرَّبَ لَهَا، فخَطَت بخُطواتٍ خَفيفَةٍ نَحو الحَمّامِ لتَقضِي حاجَتَها، وترجعُ مرةً أخرَى إلى المَطبخِ، فتُقلِّب فِي أرفُفِ المَطبخِ لكي تُقررَ ماذَا ستَأكُل .

وقَعَت عَينَيها على عُلبَةِ الشوكولاتة في بدَايَةِ الأمر ولكِن تَذَكَرَت البُثُور والوَزنَ الزَائِدَ الذى ينتُج بسَببِ تَناولِها فتنَازَلَت عَنها لأجلِ جمَالِها كمَا ينصَحُ خُبرَاءُ التجمِيل .

رُبَمَا الوقتُ مُناسِبٌ لعَملِ البَيضِ بالمَضرب، تِلكَ أكلةٌ رائِعةٌ فِي الصَباح، البَسطِرمَة الرَائعة مَع البَيض رُبما، ولَكِن لا يُوجَد بَسطِرمة. اللعنَة على تِلك الهَوامِش والنَواقِص التي تُعَكِّر مَزَاجَنا.

لِمَ نسِيَت جَلبَ البَسطِرمة، تَذكَرَّت أنَّها لم تَعُدْ تَجلِب اللُحُومَ المُجمَدة، بعدَ خبرٍمُؤسفٍ لحَادثةِ تَسمُمِ اللحمِ المُجمَد الأسبوعَ المَاضِي مَع زَميلِها يوسف في العَمل .

الحلُ هو الفُول، هذا هو شعَارُ المَرحَلة، الأكلةُ التي لا تُخيِّبُ ظَنَّ أحدٍ أبدًا في مِصر .

يُذَكرُّنى الفُول برَئيسِ الجُمهُورية في الخِطَابَاتِ الرَسمِيَّة، ذَكيٌ ويُشبعُ الرَغبَة ولكنَّه ثقِيلٌ على القَلبِ حتى المَوت، وقتَها نترَحَّمُ عَليه أو نَحمَدُ اللهَ بَعدَه .

أعتَقِدُ أنَّ لا قُدرَةَ لي اليَومَ بخِطَابٍ رئَاسِيٍّ آخر، خاصَةً بَعدَ خِطابه بالأمسِ بَعدَ ضَحَايا الأمطَار، حتى المَطرُ لَه ضَحَايا هُنا، مَعدَتي لم تَعُدْ تَحتَمل .

حَانَ وقتُ الجبنَة والطَماطِم وحبَّاتِ الزَيتُون المُخَلَل ، سآكُلُ إفطَارِي اليومَ مهمَا جَرى .

ثَلاجَتي مُمتَلئَةٌ بخَيرَاتِ اللهِ، الجبنة، أينَ الجبنة؟

مَنْ أكَلَ الجبنة؟!

لا ها هي، مُغلقَّةٌ كمَا هي، المُغلفَّاتُ مُنتجَاتٌ جَيّدة تحمِيك مِنَ الكَثير، لمَ وَرقةُ التَاريخِ بَاهتةٌ هكذا؟

أمُدُّ يدِي علَيها لتَنخلِعَ بَينَ أصَابعِي كما انخَلَعَ آدمُ مِنَ الجَنّة بسُهُولَةٍ بلا حَولٍ ولا قُوةٍ .

يبدُو أنَّ جبنَتي كانَت مُنتهِيَةَ الصَلاحِية، ولكنَّهم لم يرتَضُوا خسارَة أيّ أموَال فبَدّلوا التَاريخ، مَعدَتي لم تَكنْ لتَحتمِلَ فَسادَ الجُبن، كما لم يَعدْ عَقلي يَحتمل فسَادَ الحَياةِ وخَيَارَاتِها هُنا .

لا تجعَلَيهم يُعَكِرُوا صَفوَ حَياتِك، استَمرِي وانطَلِقي .

سآكُلُ المُعَجنَاتِ وأمرِي للهِ، بَعضُ الكَعكَاتِ والشَاي و المَخبُوزَات ستَفِي بالغَرضَ.

تتَذَكرُ الجَسدَ الذي يَضعُها في مَكانتِها فِي المُجتَمع، امرأةٌ تَملكُ جَسدًا رَائعًا، تَملكُ عَمَلًا و زَواجًا، ومُجامَلاتٍ و حُبًا لا يُحصَى .

وامرأةٌ سَمِينَةٌ تَملكُ الحَسرةَ والأسَى وخَيبَاتِ أملٍ مُتكررةٍ هُنا في ظِلّ العُمُولةِ، المَظهَرُ يحكُمُ مَصَائرَنا.

تخَلَّت عَن المُعَجنَات لتَكسَبَ حَياةً جَيدةً .

خُطوةٌ تِلوَ خُطوةٍ إلى غُرفةِ المَعيشة، تَفرِدُ ظَهرَها على الأرِيكةِ، فِنجَانُ القَهوةِ هُو الشَيءُ الوَحيدُ الذي لن تترَاجعَ عَنه مَهما جَرى .

أعرفُ هَذا المَكانَ حَيثُ لا شَيءَ يُوجَدُ، فَقَط غَمَامَةٌ مِن سَحَابِ اللاحُبِ والرَغبَة، حَيثُ لا يُوجَدُ شَيءٌ مِمَا تُحِبُ وتَرغَبُ، فَقَط فَرَائضُ أمرٍ مِنَ المُجتَمع .

نظرةٌ مِن هُنا وهُناك لتَجِدَ نفسَها تَنظُرُ لعُلبةِ الكُورن فليكس على المِنضدَةِ مُغلَقةً، تِلكَ العُلبةُ التي لَمْ تَعُدْ تَفتحُ بسَببِ تِلكَ المُقاطَعةِ من سُكانِ دَولَتِنا مَع دَولةِ الدانمارك بسَببِ تلكَ الصَحيفةِ ورُسومَاتِها.

أنا أحِبُ الكورن فليكس بَل أعشقَهُ ولكن آكُلُ ذَلك النَوعَ فقَط، ولكِنْ مُنذُ رَأتني جَارَتِي أشترِيه ذَاتَ مرةٍ و بخَتني وقَالت بأنَّ اللهَ سيُحاسِبُني ويُحمِّلني فِي عُنُقي ذَنبَ كُلِّ هؤلاءِ المَوتى و الأطفالِ، خِفتُ كَثيرًا، فأنَا أخَافُ اللهَ و أخَافُ الذُنوبَ التي لم أرتكِبْها و تَعلَق فِي رقَبَتِي، و أنَا ضَعِيفَةٌ كَما وَرَقةِ التُوتِ فِي خَرِيفِ حُزَيرَان، أقُومُ مِن مَطرَحِي هَذَا و أُخَفِفُ مِن حِملِ ظَهرِي و أتَحَرَكُ إلى غُرفَتِي، أُهَندِمُ نَفسي و أنزِلُ إلى الوَاقِعِ بقَدَمَين زَلِقَتين .

سَيَارتِي المُتَهالِكَة كَما رُوحِي تَمشِي على خُطَىً ثَابِتةٍ، يَبدُو أنِّي و بَعضُ الأشخَاصِ مُلتَزِمُون بالطَرِيقِ و الإشَارَاتِ، نَحنُ نُمَثلُّ شرذمةً بَينَ حُشُودٍ و جَماعَاتٍ مِنَ الخَارجِينَ عَن الأدب .

تَوقَفَت السَيَارةُ لأخرُجَ و أجِدَ جَارَتِي تِلكَ أمَامِي، يبدُو أنّ يومِي السَعيدَ اكتَملَ بِها، ستُمطِرُنِي الآنَ ببَعضٍ مِن نَصائِحِها المُبهرة، أتمَنى أن أمُوتَ و ترتَاحَ هي مِن أخطَائِي التِي لا تنتَهِي، و عَلى كُلٍّ بادَرْتُ بالسَلامِ و السُؤالِ عن الأحوَالِ مِن هُنا وهُناك واستَعدَدتُ للرَحِيلِ ثُم تَذكَّرتُ ..

سألتَها لِمَ انتَقَلت مِن الحَي فَجأةً دُونَ سَابقِ إنذارٍ؟

لترفَعَ رأسَها فِي عَجرَفَةٍ تَامةٍ وتُخبِرُنِي بصَوتٍ كصَوتِ الطَاووسِ فِي زَهوّةِ تزوّجِه، بأنَّ زَوجَها قد تَرَقى فِي عَملِه مَع سِفارَةِ الدنمارك مِن حَاجبٍ إلى رَجلِ أمنٍ و أنَّ الحَيَّ لَمْ يَعُدْ يَليقُ بِهم .

طنَّ فِي أذُنِي صَوتُها آنذَاك و هِيَ تُخبِرُنِي :

أأفقأ عَينَيك الآنَ و أضَعُ مكَانَهُما صُورَ الضَحايا والشُهداء؟

تِلكَ المَرأةُ مِن النِساءِ فَلِمَا التَعَجُب، ضَاف أنّها مِن مَداعِي الأشيَاءِ، ما تَركتُم لإبليسَ مِن عَمَلٍ.

لا رَدَّ لكِ عِندى سُوى نُظرةٌ مِنَ الازدرَاءِ يا شبيهةَ أبُو جَهلٍ فِي الأفلامِ العَرَبِيّة.

آهٍ مِن دُوارِ رَأسِي، سَأجلِسُ على السُلَّم ألتَقِطُ أنفَاسِي، لتَمَرَّ أماني صَديقتِي أجمَلُ مَن عَرَفتُ بالشَرِكَة مُمسِكةً فِي يَدِها بفَطِيرةٍ مِنَ المَخبَزِ تلتَهمُها فِي عَجَلٍ، نظرَاتِي للفَطِيرةِ تَشتَهيها نَفسِي أكثَرَ مِن جَسدِ رَجُلٍ مَفتُولِ العَضَلاتِ مُغَطىً بالعَرَقِ بَعدَ رَفعِ الأثقَال.

طَرِيقَةُ أكلِها المُتَعَاجِلةُ أخبَرَتني أنَّها تُحِبُّ نَفسَها والحياةَ فِي أيِّ حَالٍ لذا الجَميعُ يَرونَها جَمِيلةً ومُحببة. لم أستَطِعْ النُهوضَ مِن مَجلِسِي، وبَقِيت أنظُرُ حَولِي فأجِدُ الكُلَ يَمضِي فِي طَرِيقِه الذِى يَختَارُه، إلَّا مَن وقَفَ بإرَادَتِه .

الكُلُّ يفعَلُ ما يشتَهِي ولا أحَدَ يُجبَر إلا برضًا من نَفسِه .

لن أعملَ اليومَ، اليومُ أجازةٌ، سآكُلُ كُلَّ ما أستَطيعُ من الكورن فليكس وسأستَمتع بِه حتى التُخمَة .

الصفحة الأخيرة لا تعنى إلا من يهتم بالنهايات

ل

ع

ل

هـ

ا

.....

س

ح

ا

ب

......

د

م

و

ع

......

ح

ا

ل

م

ي

ن

تذكرةٌ للعابرين:- عندما تتحدثون عن أجمل الأشياء فلا تنسوا أبي.




OSCAR
Advertising